أساسيات علم الإجتماع

أ.د / مختار محمد عبد اللا
أ.د / فاطمة عبد السلام شربى
د./ سماح محمد المداح

اسم الكتاب : أساسيات علم الإجتماع

إعداد :أ.د/ مختار محمد عبد اللا

أ.د / فاطمة عبد السلام شربى

د./ سماح محمد المداح

الناشر : دار فرحة للنشر والتوزيع

العنوان : ٩٩ أبراج الأمل

الاوتستراد – المعادى

ت : ٠١٠٠٣١٨٢٦١٥

البريد الالكترونى

dar_farha_٢٠٢٠@yahoo.com

رقم الايداع : ١٦٧٤١/ ٢٠١٤

الترقيم الدولى : ٩٧٨ ٩٧٧ ٤٧٤ ٠٠٨٨ ٤

الموزع : دار العلوم للنشر والتوزيع

العنوان : ٢٩ شارع ٩ – المعادى

ت : ٠٢/٢٣٥٩٣١٨

ت : ٠١٢٢٦١٢٢٢١٢

البريد الالكترونى

daralaloom@hotmail.com

الموقع الالكترونى

www:dareloloom.com

عبد اللا ، مختار محمد

اساسيات علم الإجتماع / مختار محمد عبد اللا .– القاهرة : دار فرحة للنشر والتوزيع ، ٢٠١٤

ص ، سم .

تدمك ٩٧٨٩٧٧٤٧٤٠٠٨٤

١– الاجتماع ، علم

أ – العنوان

٣٠١

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
مقدمة	٥
الباب الأول: ماهية علم الاجتماع	٧
الباب الثاني: طرق البحث الاجتماعي	٢٩
الباب الثالث: الثقافة	٤٣
الباب الرابع: البنيان الاجتماعي	٦١
الباب الخامس: العمليات الاجتماعية	٧٩
الباب السادس: التدرج الاجتماعي	٨٥
الباب السابع: التنشئة الاجتماعية	١٠٣
الباب الثامن: الجماعات	١٢١
الباب التاسع: المنظمات الاجتماعية	١٣٣
الباب العاشر: المؤسسات الاجتماعية	١٤٧
الباب الحادي عشر: السكان	١٦٩
الباب الثاني عشر: التغير الاجتماعي	١٨٩
المراجع	١٩٩

مقدمـــة

يقدم هذا الكتاب عرضا موجزا لأهم معالم علم الاجتماع. وقد حرصـــنا على أن يتضمن الكتاب الأفكار الأساسية التي تقدم مباحث علـــم الاجتمـــاع للطالب المتخصص حتى يتهيأ لنوعية وطبيعة الدراسة التي تنتظـــره. وفـــي نفس الوقت حرصنا على أن يجد الطالب غير المتخصص في هـــذا الكتـــاب صورة مختصرة تعينه على تكوين فكرة صادقة عن علم الاجتماع. ومن هنا فإن اختيار الموضوعات التي تجعل الكتاب مفيدا لفئتي الطلاب لم يكن أمرا سهلا. ولكننا اجتهدنا في اختيار ما نعتقد أنه يعطي الطالب فكرة عن الأسس المنهجية لدراسة علم الاجتماع ومادة الدراسة والبحث في العلم.

وأول تلك الموضوعات ما تضمنه الباب الأول من تحديد ماهيـــة علـــم الاجتماع من حيث تعريفه، ومجالات الدراسة بـــه ، والعلاقـــة بـــين علـــم الاجتماع وبعض العلوم الاجتماعية الأخرى، و نشأة علم الاجتماع وتطوره، وأخيرا إسهامات الرواد الأوائل في علم الاجتماع.

وثاني تلك الموضوعات ما تضمنه الباب الثاني مـــن شـــرح مختـــصر لطرق البحث الاجتماعي وأن علم الاجتماع يعتمد أساسا على العلـــم. وفـــي الباب الثالث عرضنا موضوع الثقافة باعتباره ظاهرة عامة تعمل على تشكيل معظم الظواهر الاجتماعية الأخرى. وفي الباب الرابع عرضـــنا موضـــوع البنيان الاجتماعي باعتباره كيانا عاما يوجد في أي حياة اجتماعية من ناحية وباعتباره مفهوما علميا يمكن الطالب والدارس من تحليل أي وحدة اجتماعية من ناحية أخرى. وفي الباب الخامس عرضنا موضوع العمليات الاجتماعية وتناولنا بالشرح العمليات الرابطة والعمليات الفاصمة للنظام الاجتماعي. وفي

الباب السادس عرضنا موضوع التدرج الاجتماعي باعتباره ظاهرة اجتماعية عامة من جهة وباعتباره مثالا لتطبيق مفهوم البنيان الاجتماعي بصورة عامة من جهة أخرى. وفي الباب السابع تعرضنا للتنشئة الاجتماعية ووظائفها ونظرياتها ومؤسساتها وأنواع السلوك الانحرافي وتفسير الانحراف الاجتماعي. وفي الأبواب من الثامن إلى الثاني عشر عرضنا عدد من الظواهر الاجتماعية التي تتخذ شكل وحدات اجتماعية مختلفة الأحجام والأشكال وهي الجماعات (الباب الثامن). والمنظمات الاجتماعية (الباب التاسع). والمؤسسات الاجتماعية (الباب العاشر). وفي الباب الحادي عشر عرضنا موضوع السكان باعتباره من المباحث ذات الأهمية العلمية والتطبيقية المتزايدة في علم الاجتماع. وفي الباب الثاني عشر والأخير عرضنا موضوع التغير الاجتماعي كظاهرة عامة لا يخلو منها مجتمع. وندعو الله أن يجد الدارس في هذا الكتاب معينا على التعرف على علم الاجتماع.

المؤلفون

الباب الأول
ماهية علم الاجتماع

تمهيد

تعني كلمة Sociology في اللغة الانجليزية علم الاجتماع، وهذا المصطلح يتكون من مقطعين هما Socio وتعني مجتمع، Logy وتعني علم.

فهو العلم الذي يختص بكل ما يتعلق بالإنسان من الناحية الاجتماعية وكل ما يتعلق بالمجتمع من الناحية الإنسانية.

ويعتبر علم الاجتماع أحد العلوم الاجتماعية التي تعني بدراسة السلوك الإنساني ويختص علم الاجتماع بدراسة وتحليل الظواهر والعلاقات الاجتماعية التي توجد بين الأفراد، والمجموعات التي ينتمون إليها. وبين المجموعات وبعضها البعض. وسوف نستعرض في هذا الباب التعريف بعلم الاجتماع، ومجالات علم الاجتماع، وعلم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى، ونشأة علم الاجتماع وتطوره، وأخيرا الرواد الأوائل في علم الاجتماع.

التعريف بعلم الاجتماع:

الإنسان كمخلوق هو وحده من المخلوقات قادر على التعبير عن مكنوناته وحاجاته ورغباته، وقد أثارت انتباهه العديد من الظواهر الاجتماعية والطبيعية والبشرية، إذ كان يريد معرفة سر وجود تشكيل الأسرة والتجمعات البشرية وتماثل الناس مع ضوابط السلوك الإنساني (قيم وأعراف ومعتقدات) وكيف يتغير المجتمع ولماذا يتغير، ولماذا يخالف الناس أعرافهم الاجتماعية ويجنحون عنها؟

جميع ذلك كان يؤرقه ويحيره، لكن على الرغم من ذلك فانه لم يقف حائرا تجاهها بشكل تام بل فكر بها وتعمق بتفكيره فيها لكي يصل إلى إجابات مقنعة، فتوصل إلى إجابات كانت على شكل حكم وأمثال شعبية وأخرى خرافية وبعضها أسطورية.

بيد أن التحول الكبير في تفسير وتحليل الظواهر الاجتماعية جاءت بعد ميلاد القرن التاسع عشر الذي تم فيه استخدام المناهج العلمية لاستقراء السلوك والأحداث والظواهر الاجتماعية. إنه المنهج العلمي The Method of Science الذي يجيب على تلك التساؤلات المطروحة مستندا على الحقائق التي يتم جمعها بوساطة البحث المنظم Systematic Research

ويجنبنا الاعتماد على التخمين والتوقعات، هذا بالإضافة إلى وضع التصورات والمعارف للوجود الإنساني والحياة الاجتماعية بطريقة علمية تختلف كلية عن التأملات الفلسفية. ومن هنا ظهرت العلوم الاجتماعية. ومن بينها علم الاجتماع.

إن علم الاجتماع هو واحد من أسرة العلوم الاجتماعية وأهم هذه العلوم: علم الاقتصاد، وعلم السياسة، وعلم النفس وعلم الإنسان، وقد حاول عدد من علماء الاجتماع أن يعرفوا هذا العلم كل بطريقته الخاصة.

ويمكن تعريف علم الاجتماع بأنه " الدراسة العلمية للمجتمع، وللجماعات، والنظم والعلاقات الاجتماعية بين أعضاء المجتمعات ".

وعموما فان علم الاجتماع هو " الدراسة العلمية للجماعات الإنسانية والحياة الاجتماعية وأنماط العلاقات البشرية ".

مجالات علم الاجتماع :

تتمثل ميادين علم الاجتماع في دراسة الجماعة Groups التي هي عبارة عن نسق اجتماعي يتكون من عدد من الأفراد الذين يتفاعلون مع بعضهم البعض ويشتركون في القيام ببعض الأنشطة المشتركة .

كما يهتم أيضا بدراسة المجتمع Society الذي يعني أنماط التفاعل التي تحدث بين الجماعات المنظمة في الوجود الإنساني . وأن فهم المجتمع لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق الدراسة العملية لجوانب الحياة الاجتماعية والتعرف عليها . فالمجتمع يضم أعدادا لا نهاية لها من الوقائع الاجتماعية وكل منها يمكن أن يكون موضوعا للدراسة : عادات الناس في مختلف الأحياء والقرى المختلفة مثل أسلوب التحية بين فئات الناس (الأكبر والأصغر سنا ، النساء والرجال) ملابس النساء ، ملابس الرجال ، العلاقات بين الطلبة والطالبات في الجامعة ، كيفية استخدام الناس للمواصلات وتعاملهم فيها ، العلاقات بين العاملين بعضهم ببعض ، أشكال الاستهلاك بين فئات الناس ، والانحرافات بين الشباب ، الجريمة والمخدرات والقيم ، وضع المرأة في المجتمع ، الفقر ، الاستغلال والرشوة .

وفي مجال آخر يتناول علم الاجتماع دراسة التفاعل الاجتماعي Social interaction هو العملية الاجتماعية التي بمقتضاها تتيح للأفراد الذين يتصلون ببعضهم أن يؤثر كل منهم على الآخر ويتأثر بهم في الأفكار والأنشطة على السواء . هناك تفاعل يحدث بين الآباء والأبناء وبين الموظفين والمسئولين .

ويتناول علم الاجتماع كذلك دراسة العلاقات الاجتماعية Social Relations التي تعتمد أساسا على عملية التفاعل الاجتماعي التي تتم بين

شخصين أو أكثر. مثل العلاقة التي تتم عن طريق التحية بين أثنين، أو العلاقة التي تتم بشكل معقد أثناء الانتخابات النيابية.

ومن مجالاته أيضا دراسة السكان Population ويشمل ذلك دراسة السكان من الناحية الثابتة: دراسة خصائصهم الثابتة من ناحية عددهم، وتوزيعهم على المناطق المختلفة، وفئات العمر المختلفة، والحرف المتنوعة، وفئات الدخل، والأديان، والحالة الاجتماعية، . . . . الخ. والناحية الثانية هي الناحية المتغيرة: تغير عددهم من وقت لآخر ومن مكان لآخر، والهجرة سواء الداخلية أو الخارجية، وأسبابها، وأثارها.

ويتناول علم الاجتماع كذلك دراسة النظم والمؤسسات الاجتماعية. ويتضمن ذلك دراسة النظم الاجتماعية بالمجتمع مثل النظام الأسري، والنظام الاقتصادي وما يتعلق به من مشاكل اقتصادية واجتماعية، والنظام التعليمي، وغيرها من النظم بالمجتمع الدينية و السياسية والترفيهية فيدرسها علم الاجتماع من ناحية خصائصها- تركيبها- وظائفها- وأدوارها في المجتمع.

ومن مجالاته الأخرى الظواهر الاجتماعية Social phenomena التي تعرف بأنها التصرفات الإنسانية التي توجد على درجة معينة من الانتشار في مجتمع معين وفي وقت معين: مثل الزواج، والطلاق، والاحتفال بالأعياد، وممارسة الشعائر الدينية.

وقد حدد دور كايم صفاتها بالنقاط التالية:

١- إنها جمعية: أي تتصف بأنها خارجة عن شعور الفرد والتفكير الذاتي بل يتلقاها الفرد من المجتمع الذي ينشأ فيه مثل اللغة والدين والاقتصاد والقانون.

٢ـ إنها إلزامية : أي أنها تفرض نفسها على شعور الفرد وسلوكه سواء وافق الفرد على ذلك أم لم يوافق مثل الأخلاق والتراث وأنماط الأشياء واللغة والدين .

٣ـ إنها إنسانية : أي تنشأ داخل المجتمع الإنساني .

٤ـ إنها تلقائية : بمعنى يمارسها الفرد دون تردد لأنها من صنع المجتمع كالمعتقدات الدينية والأخلاقية .

٥ـ إنها مترابطة : أي ترتبط مع بقية الظواهر الأخرى ومع البيئة الاجتماعية التي ولدت فيها .

أخيرا يهتم علم الاجتماع بدراسة المشاكل الاجتماعية Social Problems **التي تعرف بأنها موقف يتطلب معالجة إصلاحية وينجم عن ظروف المجتمع أو البيئة الاجتماعية ، أو يتحتم معه تجميع الوسائل الاجتماعية لمواجهته ولتحسينه .**

علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى .

لقد أشرنا سابقا إلي العلوم الاجتماعية وهي علم الاجتماع ، وعلم الاقتصاد ، وعلم النفس ، وعلم السياسة ، وعلم الإنسان (الانثروبولوجيا) وتتفق هذه العلوم في أن موضوعها هو السلوك الإنساني ، كما تتفق في أن لكل علم من هذه العلوم منهجا أو طريقة علمية في دراسة السلوك الإنساني . وكل علم منها له جذوره التاريخية .

وعليه فإننا نجد أن هناك بعض أوجه التشابه والتداخل بين مجالات الدراسة في هذه العلوم الاجتماعية . وسنحاول الآن أن نعرض ونفهم تداخل هذه العلوم باختصار .

١ـ علم الاجتماع وعلم الاقتصاد :

يهدف علم الاقتصاد إلى دراسة الإنتاج والتوزيع وحجم استهلاك البضائع والخدمات كذلك يهتم الاقتصاديون بتحديد الأسعار والعوامل المؤثرة في الضرائب . ويعد علم الاقتصاد أكثر العلوم الاجتماعية تقدما . لأنه في الغالب يقيس مواضيعه ببساطة أكثر من العلوم الأخرى . حيث طور الاقتصاديون أدوات رياضية معقدة لبحوثهم وتفسيراتهم وتنبؤاتهم . ولكن علم الاقتصاد هو جزء من المجتمع فالسلع والخدمات لا تنتج ولا تسوق ولا تستهلك نفسها بنفسها . هذه المجالات الاجتماعية للحياة الاقتصادية هي موضوع علم الاجتماع الاقتصادي الذي يعني بدراسة الجوانب الاجتماعية للحياة الاقتصادية ويقدم صورة واضحة للعلاقات المتبادلة بين الجوانب الاقتصادية والجوانب الاجتماعية التي تؤثر فيها وترتبط معها في سياق الحياة الاجتماعية . ونجد أن آراء بعض علماء الاجتماع قد أسهمت في الكشف عن الجوانب الاجتماعية للحياة الاقتصادية من خلال آراء بعض العلماء الاجتماعيين مثل أميل دور كايم (تقسيم العمل والتماسك العضوي) .

٢ـ علم الاجتماع وعلم النفس :

يدرس علم النفس العمليات الذهنية الإنسانية ، مثل العاطفة ، الذاكرة ، الإدراك الحسي والذكاء . وهذا العلم يركز أكثر من أي علم من العلوم الاجتماعية على الفرد لأن له جذورا في العلوم الطبيعية مثل علم الأحياء ، كذلك يعتمد بشكل كبير على المختبر والتجارب العلاجية . إن علم النفس يشارك علم الاجتماع في حقل رئيسي وهو علم النفس الاجتماعي الذي يعني دراسة كيفية تأثر السلوك والشخصية بالبيئة الاجتماعية . ولا شك أن هناك تقاربا واضحا بين علم النفس وعلم الاجتماع

فالعوامل النفسية لها تأثير كبير في السلوك الاجتماعي. هذا بالإضافة إلى انه لا يمكننا أن نفهم مجتمع القرن العشرين دون أن نفهم نفسية هذا القرن. لهذه الأسباب فان علم النفس وعلم الاجتماع يكمل أحدهما الآخر.

٣ـ علم الاجتماع وعلم السياسة:

لقد ركز علم السياسية تقليديا على مجالين هامين وهما: النظرية السياسية وهى دراسة الآراء المتعلقة بالحكومة والأشكال الحقيقية للحكومة. والإدارة الحكومية وهو الوصف الشامل لبناء الهيئات الحكومية ووظائفها مع تأكيد خاص على ترابط الاثنين معا. وقد أدرك علماء الاجتماع أن الدراسة المستقلة بالنظام السياسي لن تعطي تصورا نظريا واضحا ومتكاملا، ولا بد من إدراك العلاقة بين النظام السياسي والأنظمة الاجتماعية الأخرى التي يتكون منها المجتمع. ومن هنا ظهر علم مستقل عن علوم الدراسة في علم الاجتماع هو علم الاجتماع السياسي الذي يهتم بتحليل السلوك السياسي والأنظمة السياسية ودراسة التفاعل الاجتماعي التي تتضمنها إجراءات الحكومة في ضوء البناء الاجتماعي والثقافة السائدة في المجتمع.

إن علماء السياسة في الوقت الحاضر يسألون أسئلة اجتماعية عديدة حول لماذا يصوت الناس في الانتخابات النيابية بهذه الطريقة؟ ولماذا يشارك بعض الناس في الحياة السياسية أكثر من غيرهم؟ وقد بدأ العلماء الاجتماعيون خلال السنوات الأخيرة يظهرون اهتماما كبيرا بدراسة الإطار الاجتماعي للقضايا والمشكلات السياسية.

٤ـ علم الاجتماع وعلم الإنسان (الانثروبولوجيا) :

إن علم الإنسان وعلم الاجتماع هما علمان شقيقان. يمتاز علم الإنسان عن علم الاجتماع بتركيزه على المجتمعات البدائية والمجتمعات ذات الحجم الصغير. بينما علم الاجتماع يركز على عمليات الجماعة ضمن المجتمعات الصناعية الحديثة. إن علم الإنسان له عدة فروع منها: الاجتماعية التي تختص بدراسة البناء الاجتماعي. واللغوية التي تختص بمقارنة طبيعة اللغات وبنائها وأصولها وعلاقاتها المتبادلة والطبيعية أو الفيزيائية التي تستخدم أدلة عديدة للاستدلال على نشوء الإنسان وتهتم كذلك بدراسة أنماط حياة لشعوب أخرى. وهناك كذلك الانثروبولوجيا الثقافية التي يستخدمها العلماء لمقارنة أنماط الحياة في المجتمعات الحديثة بمجتمعات أخرى. وإنه نظرا لأن المجتمعات التقليدية أصبحت في طريقها نحو الانقراض فقد أصبح علماء الأنثربولوجيا الثقافيون والاجتماعيون يقومون بدراسة الجماعات في المجتمعات الصناعية الحديثة. وأصبح علماء الاجتماع وعلماء الإنسان يستفيد كل منهما من عمل الآخر.

نشأة علم الاجتماع وتطوره :

إن علم الاجتماع حديث النشأة، ولم يكن هناك علم بهذا الاسم قبل عام ١٨٣٠ حين أطلق العالم الاجتماعي الفرنسي أوجست كونت ١٧٩٨ـ ١٨٥٧ اصطلاح Sociology علم الاجتماع على محاولات دراسة المجتمع دراسة علمية، وقد كان من رأي كونت أن العلم الجديد يجب أن يساهم في إيجاد الوسائل لتقدم الإنسان ولإصلاح ظروفه. وأنه بالرغم من أن بحث الظواهر الاجتماعية بالطريقة العلمية لا يرجع إلى عهد بعيد إلا أن الدراسات المتعلقة بالحياة الاجتماعية ظلت دائما تشغل

عقول المفكرين. إذ أن التفكير في المسائل الاجتماعية ظل مدة طويلة يهدف للوصول إلى قواعد للعمل لا إلى المعرفة الموضوعية للحقيقة. وأن أهم ما يميز الدراسات الأولى للمجتمع وجهة النظر الغائية المعيارية. ويقصد بالغائية أي البحث عما ينبغي أن يكون عليه التنظيم الاجتماعي والسياسي الأفضل، أما المعيارية فهي تلك القواعد والوسائل التي بمقتضاها تتحقق المثل العليا والغائية المطلوبة. هذه هي وجهة نظر الفلاسفة التي يتبناها كتاب الجمهورية أو القوانين لأفلاطون، وكتاب السياسة لأرسطو.

وعندما قامت حضارة روما على أنقاض حضارة اليونان اتجه الفكر الروماني نحو وضع دعائم الحقوق والتشريع واهتموا بفلسفة الأخلاق عازفين عن الفلسفة الاجتماعية. كما أن للفكر الروماني عموما أثرا في ظهور كثير من النظم القانونية والسياسية للمجتمع.

وبعد انهيار الإمبراطورية الرومانية ظهرت بعض الحركات الفكرية الأخلاقية المسيحية، ومن أبرز المفكرين في هذه الحركات القديس أوغسطين الذي وضع أفكاره حول المجتمع في كتابه (مدينة الله)، حاول أوغسطين أن يبين مزايا المدينة السماوية الخالية من الظلم والجشع والمفاسد لكنه لم يبين كيفية إقامة هذه المدينة فبقيت أفكاره مجرد أحلام.

وعند ظهور الإسلام وانتشاره في القرن السابع الميلادي انتشر معه ما جاء به من آراء ومبادئ اجتماعية جديدة التي كان لها إسهام كبير في الفكر الاجتماعي بمختلف مجالاته التي وردت في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة، ومن المفكرين المسلمين الفارابي وابن خلدون. أما الفارابي – الذي لقب بالمعلم الثاني بعد أن

أطلق على أرسطو المعلم الأول- اهتم بدراسة المدينة الفاضلة ورئيسها الذي يتصف بالحكمة وحفظ الشرائع وخصال روحية وفطرية وإدارية لا تجتمع في أي إنسان لأنها صفات لا تكون إلا للأنبياء والملائكة. لذلك جاءت أفكاره ممتزجة بالفلسفة والتصوف ويعتبر فكره الاجتماعي غائيا شأنه شأن أفلاطون وأرسطو لأنه كان يكتب عن المجتمع كما ينبغي أن يكون وليس كما هو عليه فعلا.

وفيما يتعلق بالمفكر الإسلامي الثاني وهو عبد الرحمن بن خلدون الذي ولد في تونس عام ١٣٣٢م وتوفى في مصر عام ١٤٠٦م. نادي بضرورة إنشاء علم العمران البشري. وهو يصوغ موضوع هذا العلم من خلال قوله إن الاجتماع الإنساني ضروري لأن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحقيق حاجته ومن ثم فتحصيل الحاجة يعد حجر الزاوية في الاجتماع الإنساني وضرورته. وان تغير العمران حقيقة أساسية. فأحوال العالم والأمم لا تدوم على وتيرة واحدة إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال. حيث أن السلطة السياسية المتمثلة في الحاكم تلعب دورا هاما في الحفاظ على العمران وفي تغييره. كذلك يلعب الصراع بين العصبيات دورا بارزا في تغيير العمران وتنميته. وعليه فان ابن خلدون ركز على الأبعاد النظرية والعملية والعمليات الهامة التي كانت ولا تزال من بين أبرز ما يميز علم الاجتماع عن غيره من علوم الإنسان والمجتمع.

الرواد الأوائل في علم الاجتماع:

تختلف الآراء حاليا حول نشأة علم الاجتماع فليس هناك اتفاق على عالم معين وضع المفاهيم والقواعد الأساسية لهذا العلم. ومع هذا فهناك شبه إجماع على أن

مجموعة من العلماء والمفكرين قد أسهم كلا منهم بشكل ما في إرساء قواعد علم الاجتماع الحديث وفيما يلي عرض مختصر لأفكار بعض هؤلاء الرواد.

ونبدأ بعرض أفكار ابن خلدون الذي مهد لعلم الاجتماع عن طريق الاهتمام بدراسة التاريخ يلي ذلك أوجست كونت الذي أعطى للعلم اسمه وحدد له موضعا بين العلوم. ثم كارل ماركس. ثم هربرت سبنسر الذي حاول تحديد ملامح علم الاجتماع استنادا إلى منجزات علم الأحياء. ثم إميل دور كايم الذي أبرز استقلالية علم الاجتماع وأرسى دعائم منهجه بصورة مفصلة. وأخيرا ماكس فيبر

ابن خلدون ١٣٣٢م ـ ١٤٠٦م :

هو علامة عربي ولد بتونس عام ١٣٣٢م وتنقل بين أرجاء الأمة الإسلامية واشتغل في أواخر حياته بالتدريس في الأزهر. وتوفى بمصر سنة ١٤٠٦م وقد اهتم بكثير من العلوم شأن معظم المفكرين العرب الذين سبقوه وعاصروه. وكان أحد اهتماماته الأساسية دراسة التاريخ.

وبنظرة فاحصة إلى أعمال من سبقوه وعاصروه من المؤرخين خلص إلى أنهم ينقسمون إلى أربع فئات هى :

١ـ العموميون : وهم الذين اجتهدوا في دراسة التاريخ عامة دون التقيد بزمان أو مكان محددين.

٢ـ المتخصصون : وهم الذين اقتصرت دراسات كل منهم على تاريخ الدولة التي عاش فيها فقط دون غيرها من الدول والبلدان.

٣ـ المقلدون : وهم الذين ينسجون على منوال غيرهم دون أن يكون لهم منهج محدد أو مجال اهتمام متميز.

٤ـ المختصرون : وهم الذين اهتموا فقط بأخبار الملوك والحكام دون الاهتمام بأحوال المجتمع عامة .

ويرى ابن خلدون أن جميع المؤرخين لم يحسنوا دراسة التاريخ البشري كعلم متكامل . وذلك لأن المؤرخين بجميع فئاتهم قد اعتمدوا على مجرد نقل الأخبار ولم يحكموا أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران وأحوال المجتمع البشري في الحكم على تلك الأخبار . وهذا كله من شأنه أن يوقع العالم في كثير من الزلات ويجنبه الحيدة والصدق في دراسته وكتابته للتاريخ .

ولتجنب ذلك يرى ابن خلدون أن على المؤرخ التعمق في طبيعة العمران فإذا كان الخبر مستحيلا بحكم طبيعة العمران فلا داعي من التحقق من صدق الراوي وبالتالي فالخبر لا يصلح مادة للدراسة . والأخبار التي تتفق وطبيعة العمران البشري تكون صحيحة أما المخالفة فهي غير صحيحة .

ولهذا يكون لدينا قانونا نستطيع به تمييز الحق من الباطل بصورة قاطعة لا تقبل التشكيك . وهذه المبادئ تشكل أساسا لدراسة العمران البشري .

وجدير بالذكر أن اصطلاح علم العمران يعد مرادفا للعلم الذي نسميه الآن علم الاجتماع .

أما بالنسبة للظواهر الاجتماعية التي هي موضوع دراسة علم الاجتماع فيرى ابن خلدون أن أهم سماتها ما يلي :

١ـ إنها تتغير باستمرار ولكن بعضها مثل الظواهر الاقتصادية أكثر ثباتا من البعض الآخر مثل الظواهر السياسية . حيث تتغير الحكومات والدول وتظل الصنائع كما هى .

٢ـ إن العصبية القبلية هي أساس الملك .

٣ـ إن لكل دولة أو أسرة حاكمة دورة تساوي عمر ثلاثة أجيال . وإن كل دولة حاكمة تستمر حوالي ١٢٠ سنة وتمر بفترات تختلف في صفاتها فالجيل الأول تربى في البداوة ووصل إلى الحكم بالكفاح سعيا وراء الإصلاح . والجيل الثاني ينتقل من البداوة إلى الحضارة صغير في صحبة الجيل الأول . وينشأ في الملك والترف ولكنه يذكر التاريخ القريب للأسرة الحاكمة . أما الجيل الثالث فانه يولد ويربى في الملك والترف فينسى عهد البداوة فينشأ مرفها لا يتحمل مسئولية استمرار الدولة فتسقط في النهاية وتفسح الطريق لدولة جديدة ناشئة تنهض من البداوة للسيطرة على تقاليد الأمور .

ويرى ابن خلدون أن المجتمع البشري ينقسم إلى بدو وحضر وأن أهل البدو أفضل من الحضر . فأهل البداوة أكثر قدرة على تحمل مخاطر الحياة وأكثر تدينا وأكثر شجاعة وأكثر تحملا للجوع إلى غير ذلك من الصفات الحميدة . كما أن انتقال الناس من البداوة إلى الحضارة يؤدي إلى تدهور هذه الصفات الحميدة .

أوجست كونت: ١٧٨٩م ـ ١٨٥٧ م :

وهو عالم فرنسي عاش في الفترة من ١٧٩٨م إلى ١٨٥٧م . وأهتم كثيرا بالدراسات الاجتماعية وهو الذي أعطى علم الاجتماع الاسم الذي ظل يستعمل حتى الآن Sociology ، ويرى كونت أن علم الاجتماع يجب أن يتبع نفس الأسلوب المنظم الذي يتبع في الدراسات الطبيعية . ويسلم بأن الحياة الاجتماعية تحكمها مجموعة من القوانين مثلها في ذلك مثل الأشياء الطبيعية . ولهذا فان علم

الاجتماع قادر على الوصول الى نفس مستوى دقة الدراسات الطبيعية . ويركز كونت في كتاباته على أربع مجالات أساسية هى :

١ـ طرق البحث في علم الاجتماع : علم الاجتماع ينبغي أن يستخدم الطرق الثلاث المستخدمة في العلوم الطبيعية وهى الملاحظة والتجريب والمقارنة .

إلا أن علم الاجتماع يستطيع أن يستعمل بالإضافة إلى ذلك الطريقة التاريخية .

٢ـ مراحل تطور الحياة البشرية : ويرى التفكير الإنساني قد مر عبر ثلاثة مراحل أساسية هى :

(أ) المرحلة اللاهوتية (الدينية) : ويتسيدها رجال الدين والعسكريون . وفيها تكون الأفكار البشرية مركزة في الأمور الدينية . وتفسر الظواهر الاجتماعية بقوى خارجية عنها . وتكون الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأساسية في هذه المرحلة . وتوجد بكثرة في المجتمعات البدائية .

(ب) المرحلة الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) : وفيها تسود الأفكار الفلسفية ، وتفسر الظواهر الاجتماعية بعلل لا يمكن إثباتها . وتظهر الدولة كوحدة اجتماعية . ويسود في هذه المرحلة المحامون ورجال الدين .

(جـ) المرحلة الايجابية (العلمية) : وفيها تتكامل البشرية كلها كوحدة اجتماعية فعالة وتسود الأفكار العلمية . وفيها تفسر الظواهر الاجتماعية بالقوانين والأسباب المباشرة .

وعليه يرى كونت أن الفكر الإنساني هو محرك المجتمع ودافعه .

٣ـ ترتيب العلوم : ويرى أن العلوم تتطور كما تتطور المجتمعات ويمر كل علم بنفس المراحل التي تمر بها العلوم الأخرى . إلا أن سرعة تطور العلوم تختلف من علم إلى

آخر، فالعلوم البسيطة أسرع تطورا من العلوم الأكثر تعقيدا. ويتوقف تطور كل علم على تطور العلوم الأبسط منه. وقد تمكن من ترتيب العلوم تصاعديا حسب درجة تعقيدها. ويضع علم الفلك كأبسط العلوم يليه علم الطبيعة ثم الكيمياء ثم الأحياء وأخيرا علم الاجتماع. وعليه فان علم الاجتماع في نظر كونت هو أكثر العلوم تعقيدا. ولهذا كان لابد أن ينتظر تطور العلوم الأخرى حتى يكتمل النمو العلمي للبشر.

٤ـ الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية: يميز كونت بين جانبين من جوانب الحياة الاجتماعية أطلق على أحدهما الاستاتيكا الاجتماعية ليشير إلى العوامل الثابتة في الحياة الاجتماعية وهى التي تعطيها الاستمرارية المطلوبة، وينبغي لكي يكون المجتمع سليما أن يكون هناك تناسقا بين مكوناته. وهناك ثلاثة عوامل تربط المجتمع كوحدة استاتيكية هي اللغة والدين وتقسيم العمل.

أما الجانب الآخر فيطلق عليه الديناميكا الاجتماعية، ويشير إلى العوامل التي تؤدي إلى تطور البشرية باستمرار، وحدوث التغيرات الاجتماعية بالمجتمع مثل الزلازل والثورات والتكنولوجيا.

ويرى كونت أن المجتمع لا يتكون من أفراد وإنما يتكون من الأسر، فالأسرة إذن هى الوحدة الأساسية لبناء المجتمع، ويتعلم الفرد خلال حياته في الأسرة الحياة مع الآخرين، كما أن المجتمع يتماسك بروابط روحية أكثر من ارتباطه بالعوامل الفيزيقية. ومن هنا فانه يؤكد على دور الدين واللغة في الحياة الاجتماعية.

واللغة وسيلة لا غنى عنها للمجتمع البشري فهي الوسيط الأساسي للسلوك، فعن طريق اللغة يتم تخزين الفكر البشري ونقله من جيل إلى آخر.

أما الدين فانه يمثل أساسا صلبا لتوحيد المجتمع البشري. فبدون الدين فان الاختلافات الفردية تهدد بتمزيق المجتمع، فالدين يساعد الأفراد على التغلب على النزعات الأنانية ويدفعهم إلى حب الآخرين. وكذلك فان الدين يساعد على إضفاء الشرعية على الأوامر الحكومية. فالقوة الطبيعية وغيرها ليست كافية ما لم تدعمها القوة الروحية.

وبالإضافة إلى اللغة والدين يرى كونت أن تقسيم العمل يعتبر أحد القوى الأساسية للعمل على تماسك المجتمع، ذلك أن تقسيم العمل يخلق في كل فرد إحساسا بالاعتماد على الآخرين.

كارل ماركس ١٨١٨م- ١٨٨٣م :

ولد بألمانيا عام ١٨١٨م واستقر بانجلترا. ويرى أن علماء الاجتماع لا يجب أن يصفو العالم فقط ولكن المهم تغييره. والصراع بين الذين يملكون وسائل الإنتاج والذين لا يمتلكون هو الذي يؤدي إلى تأسيس مجتمع بلا طبقات وتسود الإنسانية الحقيقية بين أفراد المجتمع، حيث أنه سيقضي على المستغلين الحاكمين.

هربت سبنسر ١٨٢٠م – ١٩٠٣م :

مفكر بريطاني ولد سنه ١٨٢٠م وتوفى عام ١٩٠٣م وكان له شأن كبير في إرساء بعض الأفكار الأساسية في علم الاجتماع. ويبدأ سبنسر تصوره الاجتماعي بتشبيه المجتمع بالكائن الحي. ويرى سبنسر أن المجتمع أو أي وحدة اجتماعية تشبه الكائن الحي في أن كليهما يزداد حجما باستمرار. وينشأ نمو المجتمع في الحجم من فعل عمليتين هما زيادة السكان عن طريق الإضافة العددية المستمرة وعملية انضمام جماعات خارجية لم تكن في المجتمع من قبل.

ويتبع زيادة الحجم بالضرورة زيادة في تعقيد المجتمع، وعلى هذا فان عملية النمو يتبعها عملية تكافل اجتماعي، والتكافل يتطلب تمايزا بين البناءات والوظائف داخل المجتمع حتى يظل المجتمع حيا في صراع البقاء، وعلى هذا فان الوحدات الاجتماعية مثلها مثل الكائن الحي تنمو من حالة معينة تتشابه فيها أجزاؤها إلى حالة أخرى تصبح فيها الأجزاء غير متشابهة، وطالما صارت الأجزاء متباينة فإنها تصبح معتمدة على بعضها البعض. وهذا يؤدي إلى زيادة تماسك المجتمع.

ويميز سبنسر المجتمعات على أساس درجة تعقيد بنائها الاجتماعي، إلا أنه يركز على تقسيم المجتمعات إلى نوعين هما المجتمعات العسكرية والمجتمعات الصناعية. ويمكن إيجاز الفروق بين النوعين في جدول رقم(١).

ويرى سبنسر أن المجتمع نشأ لأن الأفراد رأوا من مصلحة كل منهم الحياة مع الآخرين. وبمجرد نشوء المجتمع فان صيانته أصبحت واجبة لأنه يؤدي إلى إشباع حاجات الأفراد بصورة لا يمكن تحقيقها بأي وسيلة أخرى، ويرى أن اللغة هي الوسيلة التي تؤدي إلى ترابط المجتمع. واللغة بهذا المعنى تقوم في المجتمع بما يقوم به الجلد للكائن الحي.

جدول(١) الفروق بين المجتمع العسكري والمجتمع الصناعي

الصفة	المجتمع العسكري	المجتمع الصناعي
١ـ الوظيفة أو النشاط السائد	النشاط الدفاعي أو العدواني الجماعي من أجل صيانة المجتمع وتوسيعه.	تقديم الخدمات المتبادلة بين الأفراد بطريقة سليمة.
٢ـ التنسيق الاجتماعي	تنسيق إجباري عن طريق الأوامر والقوة.	تنسيق اختياري عن طريق التعاقد وقواعد العدالة.
٣ـ علاقة الدولة بالفرد	الفرد يعيش من أجل الدولة وهناك قيود على الحرية	الدولة تقوم لخدمة الفرد وتسود الحرية
٤ـ علاقة الدولة بالمنظمات الأخرى	كل المنظمات عامة ولا يوجد منظمات خاصة	هناك تشجيع على إقامة المنظمات الخاصة
٥ـ بناء الدولة	مركزي	لا مركزي
٦ـ بناء التدرج الاجتماعي	هناك ثبات في الأوضاع الاجتماعية والمهن والموطن ويتم توارث المكانة الاجتماعية	هناك حرية الحركة بين المواضع الاجتماعية وهناك مرونة في ترتيب المهن والمكافئات
٧ـ نوع النشاط الاقتصادي	هناك اكتفاء ذاتي مع قليل من التجارة الخارجية	هناك تساند مع الدول الأخرى مع زيادة التجارة الخارجية السليمة
٨ـ الصفات الشخصية الاجتماعية المرغوبة	الوطنية ـ الشجاعة ـ الولاء ـ الطاعة ـ الثقة بالسلطة	الاستقلال ـ احترام الآخرين ـ مقاومة الإكراه ـ المبادأة

إميل دور كايم ١٨٥٨م ـ ١٩١٧م :

عالم فرنسي ولد سنة ١٨٥٨م . وتوفي عام ١٩١٧م . ويرى دور كايم أن المجتمع لا يجب اختزاله إلى مكوناته الأصلية . وإنما ينبغي اعتبار الظواهر الاجتماعية كيانا مستقلا . وتعتبر الظواهر الاجتماعية مادة الدراسة في علم الاجتماع . وهذه الظواهر الاجتماعية لا يمكن تفسيرها على أساس سيكولوجي أو بيولوجي . والظواهر الاجتماعية مستقلة عن الأفراد ، فالأفراد يموتون وتبقى الظواهر الاجتماعية .

ويقول دور كايم إن المجتمع يتماسك كوحدة واحدة على أحد أساسين هما التماسك الميكانيكي والتماسك العضوي . ويسود التماسك الميكانيكي طالما كانت الأفكار والميول العامة لكل أفراد المجتمع أكثر عددا وكثافة عن الأفكار والميول الخاصة بالأعضاء كأشخاص . وينمو التماسك الميكانيكي على حساب نمو الشخصية . وبعبارة أخرى فان التماسك الميكانيكي يسود حيث تقل الفروق الفردية . وعليه فالتماسك يأتي من التشابه . والمجتمع الذي يسود فيه التماسك الميكانيكي مجتمع بسيط ـ غير معقد التركيب ـ غير مميز الوظائف ـ غير خاضع لمبدأ تقسيم العمل . ويغلب على هذه المجتمعات سيادة العرف والتقاليد ويسميها المجتمعات البدائية .

أما التماسك العضوي فانه ينشأ من الاختلاف بين الأفراد وينتج عن تقسيم العمل في المجتمع . فبزيادة التمايز الوظيفي في المجتمع تزداد الفروق بين الأعضاء ويصبح كل عضو في المجتمع أقل ارتباطا بالأفكار العامة . ومع ذلك فانه يصبح أقوى ارتباطا بالأدوار والأعمال المتخصصة التي هي جزء من جهاز التماسك

العضوي، وهكذا يصبح الأفراد أكثر اعتمادا على بعضهم البعض، فبينما يتحرر الأفراد من الضغوط الخارجية فإنهم يتماسكون نتيجة لتبادل المنفعة بينهم.

وينظر دور كايم إلى الأفراد على أنهم مخلوقات ذوي رغبات غير محدودة. وعلى هذا ينبغي وضع ضوابط خارجية لرغبات الأفراد. ويقوم المجتمع بوضع القيود على رغبات الأفراد ويشكل قوة تنظيم لهذه الرغبات. وفي المجتمعات المنظمة تعمل عوامل الضبط الاجتماعي على وضع الحدود للأفراد بحيث يدرك كل فرد بدرجة ما الحدود القصوى لطموحه ولا يتطلع إلى أكثر منها. وعندما يتدهور النظام الاجتماعي تنهار عوامل الضبط الاجتماعي (القانون- العرف)، وتكون النتيجة تحرر الأفراد من القيود الاجتماعية بحيث يصنع كل منهم ما يحلو له، وهذه الحالة تسمى بالضياع أو الأنوميا Anomy وتتسم هذه الحالة بضياع المعايير في المجتمع كله أو أحد مكوناته، وفيها لا تخضع رغبات الأفراد للتنظيم الاجتماعي.

ويرى دور كايم أن الدين يعتبر إحدى القوى التي تخلق في الفرد إحساسا بالالتزام الأخلاقي بالانصياع لمطالب المجتمع، ويقول إنه في الماضي كان الدين هو الرباط الذي يعمل على تماسك المجتمع، فكان الدين هو الوسيلة التي تأخذ الأفراد من اهتماماتهم اليومية إلى الإيمان المشترك بأشياء مقدسة. وعلى هذا فالدين يأخذ الأفراد من الاهتمامات المصلحية للحياة اليومية إلى أهداف روحية عامة تعلو على الأهداف الفردية، وعندما يضعف الوازع الديني لدى الأفراد في المجتمع فان هؤلاء الأفراد يتجهون إلى الالتزام بصيانة المجتمع (المحافظة عليه بالقوانين) لأنه أساس حياتهم بدلا من الالتزام بالمعتقدات الدينية.

ماكس فيبر ١٨٦٤م – ١٩٢٠م :

هو عالم ألماني عاصر إميل دور كايم . ويرى أن الدين يمكن أن يلعب دورا هاما ومستقلا بالمجتمع . فالرأسمالية الحديثة لم تظهر كنتيجة لضرورة اقتصادية كافية بل عن طريق قوة خارجية هي الأخلاق الدينية المتمثلة في المذهب البروتستانتي الذي يدعو إلى التقشف والعمل الجاد . فالتقشف (يساعد على الادخار) والعمل الجاد (يساعد على زيادة الإنتاج) وبالتالي يتراكم رأس المال .

كما يرى أن علماء الاجتماع يجب أن يكونوا موضوعيين في أعمالهم بمعنى أن اعتقاداتهم الذاتية يجب ألا تتدخل في تحليل بحوثهم ونتائجها .

* * *

أسئلة على الباب الأول

١ـ أذكر فقط مجالات علم الاجتماع . ثم أشرح إحداها بالتفصيل؟

٢ـ وضح العلاقة بين علم الاجتماع وكل من علم الاقتصاد – علم النفس ـ علم السياسة ـ علم الإنسان .

٣ـ تميزت الدراسات الأولية لعلم الاجتماع بسمات معينة . أذكرها؟

٤ـ تكلم عن كل من ابن خلدون ـ ماكس فيبر ـ إميل دور كايم ـ أوجست كونت ـ كارل ماركس ـ هربرت سبنسر . موضحا إسهاماته في تأسيس علم الاجتماع .

٥ـ فرق بين كل مما يأتي

(أ) الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية .

(ب)التماسك العضوي والتماسك الميكانيكي .

(جـ) المجتمع الصناعي والمجتمع العسكري .

٦ـ أكتب ما تعرفه عن كل مما يأتي :

(أ) الأنوميا .

(ب) عوامل تماسك المجتمع (الاستاتيكا الاجتماعية) .

(جـ) عوامل تغير المجتمع (الديناميكا الاجتماعية) .

(د) مراحل تطور الحياة البشرية .

* * *

الباب الثاني
طرق البحث الاجتماعي

تمهيد

تذخر الحياة الاجتماعية بالعديد من الأحداث والوقائع وأنماط السلوك. فهناك الأحداث السياسية مثل الحرب في البلقان والنزاع في الشرق الأوسط بين مؤشرات الحرب وأمنيات السلام والانتخابات والاستفتاءات وما يصاحبها من حملات انتخابية في مختلف الدول.

وهناك الأحداث الاقتصادية مثل اتفاقيات التجارة الحرة واتفاقيات الشراكة والصفقات الاقتصادية والتجارية المختلفة. وهناك الأحداث الرياضية من مباريات كرة القدم وبطولات كرة اليد والاسكواش والسباحة وغيرها. وهناك الأحداث الاجتماعية كاجتماعات اللجان وتشكيل الجمعيات وحفلات الزواج وغيرها. وكثير من هذه الأحداث بأنواعها المختلفة تخضع للفحص والدراسة.

فصحف الصباح تحمل لنا كل يوم إلى جانب ما يقع من أحداث تحليلات وتفسيرات يحاول كاتبوها وضع الأحداث في سياقها وتبصير القراء بمعانيها من وجهة نظرهم. فمن معلق سياسي يوضح أسباب اختلاف مواقف الأطراف المختلفة من عملية السلام في الشرق الأوسط. وقد يتصدى معلق آخر لتفسير أسباب ونتائج زيارة رئيس دولة إلى دولة أخرى.

ومن معلق رياضي يلقي الضوء على نتائج مباريات الكرة في أسبوع أو يتوقع نتائج اللقاءات المرتقبة في كأس العالم القادم. ومن معلق اجتماعي يتصدى لتحليل مظاهر الاحتفال بالزواج وما يجري خلالها من ملابسات محددا أسبابها وناقدا

لما يراه معيبا فيها. ومن معلق اقتصادي يحلل اتجاهات الأسعار في بورصة الأوراق المالية وأسعار العملات وأسعار النفط موضحا ما يعتري هذه أو تلك من تغيرات وأسباب ذلك.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل كثيرا ما نجد التاجر الصغير الذي نتعامل معه يتحدث عن تغير أسعار السلع التي يبيعها شارحا أسباب ذلك ومعربا عن توقعاته لاتجاه السعر مستقبلا. كما نجده يؤكد أن من مصلحة المشتري الحصول على سلعة معينة قبل أن تختفي من السوق أو ترتفع أسعارها. كما أننا كثيرا ما نجد المواطنين العاديين في الطريق وفي الدواوين وفي البيوت يتحاورون حول الجرائم التي تحدث محاولين استخلاص أسبابها. كما تجد الجماهير في أعقاب مباراة هامة في كرة القدم يتلون قوائم طويلة من الأسباب التي جعلت النتيجة بالشكل الذي جاءت به.

وهكذا يتبين لنا أن هناك اهتماما منتشرا بفهم حقيقة الحياة الاجتماعية. وأن كل إنسان يحاول قدر استطاعته استخلاص نتائج معينة. هذا مع العلم بأن أحدا من هؤلاء ليس مطالبا بإعطاء تفسير، ولكنه التفاعل الواجب بين الفرد والحياة الاجتماعية في مجتمعه. ولكننا أحيانا نجد أن هناك من يعترف بأنه لا يستطيع فهم الأحداث الاجتماعية وينادي بأن يتصدى العلماء لدراستها وتفسيرها لأن فهمها وتفسيرها مهمة تبدو أكبر من قدرته.

فالبحث عن حقيقة الأحداث والظواهر الاجتماعية يشغل معظم أفراد المجتمع بدرجات متفاوتة، وهم في ذلك يعتمدون على طرق محددة مألوفة للوصول إلى الحقيقة، وعندما يعجزون عن الوصول إلى الحقيقة بطرقهم المألوفة يلجأون إلى العلماء يستنهضونهم البحث ويلتمسون لديهم الحقيقة، وقد يلجأ بعض علماء

الاجتماع إلى الطرق الشائعة أحيانا في بحثهم عن الحقيقة ولكنهم يستندون في النهاية إلى المنهج العلمي. وبالنظر إلى الطرق المختلفة التي يوظفها الناس للبحث عن الحقيقة نجد خمس طرق هي الإلهام والحجة والتقليد والبداهة والعلم. ولكل من هذه الطرق الخمس مجال معين في علم الاجتماع، ولذلك سنستعرض كل من الطرق المذكورة مع التركيز على العلم باعتباره الطريقة المعتبرة والمتفق عليها.

١ـ الإلهام Intuition

الإلهام عبارة عن فكرة طارئة تخطر ببال الفرد عندما يتصدى لفهم حدث أو ظاهرة ما. والفرد يمسك الفكرة ولكنه لا يستطيع إدراك مصدرها ولا تفسير أساسها. وبعض الأفكار التي تأتي عن طريق الإلهام قد تكون صحيحة وتثبت صحتها في الأحداث اللاحقة. وبعض الأفكار الأخرى التي تنتج عن الإلهام تكون خاطئة. ويمكن القول بأن الأفكار التي يستلهمها الأفراد تأتي بطريق المحاولة والخطأ ولهذا فهي تصدق حينا وتخطئ أحيانا أخرى. ولكن التمرس في محاولة فهم الظواهر الاجتماعية يؤدي إلى زيادة نسبة الإلهامات الصحيحة لدى بعض الأفراد وهؤلاء يطلق عليهم الأفراد الملهمين، ومثل هؤلاء يقال لهم في الحياة العامة « يفهمها وهي طايرة » ويقال لهم في السياسة « القائد الملهم ».

وفي ظل غياب القدرات والأفكار العلمية نجد الناس كثيرا ما يستندون إلى الإلهام في حياتهم. وفي علم الاجتماع نجد أن الكثير من الأفكار والآراء النظرية التي وردت في كتابات كثير من الكتاب ما هي إلا إلهامات أتى بها أصحاب النظريات الاجتماعية. ولهذا فإنها لا ينبغي أن تعامل باعتبارها حقائق. وإنما يجب اعتبارها فروضا بحثية تخضع للاختبار وقد تثبت صحتها وقد لا تثبت. ويؤكد كثير من

فلاسفة العلوم على أن من يضع نظرية ينبغي عليه اختبارها أو على الأقل وضع الإطار الذي يمكن الآخرين من اختبارها، وفي بعض الأحيان يتمكن عالم الاجتماع من اختبار الفروض التي تأتيه عن طريق الإلهام. إلا أنه في أحيان أخرى لا يمكن اختبار تلك الفروض في حينها ويترك أمر اختبارها للأجيال القادمة من الدارسين.

٢ـ الحجة Authority

الحجة عبارة عن مصدر يثق الناس في صحة المعلومات التي تصدر عنه أو تنسب إليه. وقد يكون الحجة فرد حقيقي يقدر الناس مدى علمه عن طريق معايشتهم له أو دراستهم لتاريخه الفكري، كما قد يكون الحجة شخصية أسطورية يتناقلها الناس من التراث الشعبي، وأيا كانت طبيعة الحجة فإن الناس يعتبرون المعلومات التي تنسب إليه صحيحة وكل ما يخالفها خاطئ. وهناك ميل عام لدى الإنسان العادي للجوء إلى الحجة لأن كل فرد لا يستطيع استيعاب كل الحقائق المحيطة به. ولهذا فإنه يلجأ إلى الحجة للحصول على فكرة جاهزة تيسر له الاستيعاب. هذا ويختلف الأساس الذي يبنى عليه تقدير الناس لصدق الحجة. فأحيانا يبنى هذا التقدير على أساس الخبرة العملية وقيام دليل على صدق الحجة كالمجرب والحكيم وكبير العائلة. وفي هذه الحالة يسمى حجة علمانية Secular. وفي أحيان أخرى يبنى الحجة على الاعتقاد بأن الحجة يستمد المعلومات والعون من القوى الإلهية كالولي والمبروك وفي هذه الحالة يسمى حجة مقدسة Sacred. هذا وتوجد في الكتابات العلمية العديد من الأفكار والنظريات التي لم تختبر اختبارا علميا دقيقا. ولكنها تكتسب قبولها جزئيا من صدورها عن قيادات موثوق بها في مجال الفكر الاجتماعي.

وينبغي عدم التمسك بتلك الأفكار بصورة مطلقة. ولكن ينبغي تحويلها إلى فروض تختبر خلال البحوث العلمية الاجتماعية. وجدير بالذكر أن الحجة هي الأساس التي تقوم عليه بعض العلوم مثل علوم السيرة والحديث.

٣ـ التقليد Tradition

يشير التقليد إلى الخبرات المتجمعة والمتوارثة التي يلجأ الناس إليها باستمرار لفهم ما يحيط بهم من ظواهر. وقد تكون الأفكار التي يحويها التقليد صحيحة وقد لا تكون. إلا أن الناس يعتقدون دائما في صحتها. وقد يرجع ذلك إلى أنهم ألفوها نتيجة لأنهم نشئوا في ظلها. وعادة ما يجهل الناس المصدر الأول للتقليد ولهذا فإنه ينسب إلى الأسلاف جملة أو إلى المجتمع بصفة عامة. والتقليد ليس مصدرا للمعارف الاجتماعية العلمية. ولكنه – أي التقليد ـ قد يساعد في صياغة الفروض البحثية التي تخضع للاختبار العلمي بغرض التأكد من صحتها أو خطئها. ومن أمثلة التقليد الأمثال الشعبية الشائعة.

٤ـ البداهة Common Sense

تتكون البداهة من مجموعة من الهواجس والأفكار التي يسلم بها مجموعة كبيرة من الناس ولا يعرفون مصدرها ولا الأساس التي بنيت عليه، وتعطي البداهة إحساسا بقبول الفكرة في ظل عدم وجود دليل ثابت على صحتها. وبعض الأفكار البديهية صحيحة علميا وبعضها غير صحيح علميا. ولكن الناس يسلمون بصحتها لأنها تتفق مع التفكر العابر في أمور الكون، وتختلف البداهة عن الإلهام في أن الإلهام أمر فردي بينما البداهة أمر عام ومتفق عليه بين جماعة من الناس.

٥ـ العلم Science

وهو استعمال الطريقة العلمية أو البحث المنظم كأساس لفهم الكون الاجتماعي. والعلم كأحد وسائل المعرفة الاجتماعية حديث العهد نسبيا إلا أنه يعتبر أكثر الطرق صلاحية وقبولا في إنتاج المعلومات الموثوق بها، والعلم دون وسائل المعرفة الأخرى هو الوسيلة التي يلجأ إليها علماء الاجتماع لدراسة الحياة الاجتماعية، ومع أن هناك عدة مواصفات محددة تميز الطريقة العلمية على غيرها من طرق الحصول على المعلومات فإن التطبيق الفعلي للطريقة العلمية يختلف باختلاف مادة الدراسة.

ما هو العلم:

أصبح استعمال كلمة العلم شائعا سواء بين العلماء أو غيرهم، وعادة ما تثير هذه الكلمة بعض المشاعر لدى الأفراد فما هو المقصود بها؟

الواقع أنه ليس هناك تعريف محدد ومتفق عليه للعلم. ولكن النظر إلى التعريفات التي وضعها العلماء يوضح أن هناك اتجاهان رئيسيان لتعريف العلم يمكن إجمالهما فيما يلي:

الاتجاه الأول:

يميل إلى اعتبار أن العلم هو مجموعة معينة من المعلومات والمعارف. وعلى هذا فإن تعريف العلم يكون بتحديد المحتوى المعرفي الذي يحويه العلم. وطبقا لهذا الاتجاه يمكن تعريف العلم بأنه مجموعة من المعارف المتراكمة والتي تحوي العديد من الحقائق والفروض والنظريات المرتبة ترتيبا منطقيا.

الاتجاه الثاني:

ويميل إلى اعتبار أن العلم عبارة عن طريقة معيارية للوصول إلى معلومات تصف المادة المدروسة. وعلى هذا فإن تعريف العلم إنما يكون بوصف الطريقة التي تتبع لإنتاج ما يسمى معلومات علمية. وبناء عليه فإنه يمكن تعريف العلم بأنه إتباع الطريقة العلمية لدراسة الظواهر المحيطة والوصول إلى تفسير لها.

ورغم أن هناك انقساما بين العلماء في تفضيل أحد التعريفين على الآخر، فإنه يمكن القول بأن تحديد معنى العلم يقتضي إدراك أمرين. أولهما أن أي من الاتجاهين السابقين إنما يصف أحد جوانب العلم، وأن تعريف العلم إنما يقتضي الإشارة إلى كل من المحتوى المعرفي وطريقة الدراسة. وثانيهما أن العلم كمحتوى معرفي يتغير باستمرار، فهناك دائما إضافات علمية إلى المعرفة كما أن هناك نسخا مستمرا لبعض جزئيات المعرفة العلمية فكتاب في أسس علم الاجتماع في نهاية القرن العشرين يختلف جذريا عن نظيره منذ قرن مضى، وعلى العكس من ذلك فإن الطريقة المتبعة في إنتاج المعارف العلمية ثابتة تقريبا مع بعض التعديلات التي تتطلبها طبيعة مادة الدراسة. وبناء عليه فإن تعريف العلم كطريقة قد يكون ذا معنى أكثر ثباتا من تعريفه كمحتوى علمي، إلا أن التعريف الشامل للعلم ينبغي أن يتضمن كلا من المادة والطريقة. ويمكن تعريف العلم بأنه طريقة معيارية لدراسة الظواهر والأحداث وما ينتج عنها من معلومات تفسر تلك الظواهر والأحداث.

وبتطبيق التعريف السابق للعلم على علم الاجتماع نجد أن علم الاجتماع يتكون من مكونين أساسيين هما: المعلومات وطرق البحث.

ويستعمل علماء الاجتماع طرقا مختلفة للحصول على البيانات اللازمة لدراستهم وتحليلها وتفسيرها. وعموما تصنف طرق البحث إلى نوعين هما الطرق الكمية والطرق الوصفية. وفيما يلي سنتكلم عن كل من هذه الطرق بإيجاز.

١ـ الطرق الكمية Quantitative methods

الطرق الكمية هي تلك التي يتم فيها جمع بيانات في صورة أرقام أو في صورة يمكن تحويلها إلى أرقام. وتستلزم الدراسات الكمية استعمال الطرق الإحصائية لتحليل البيانات بهدف استخلاص النتائج. ومن أهم طرق الحصول على البيانات الكمية ما يلي:

(أ) **المسح الاجتماعي** Social Survey

وفيها يتم جمع البيانات بتوجيه مجموعة من الأسئلة إلى الأفراد موضوع الدراسة والحصول على إجاباتهم. ويمكن أن يقوم الباحث أو أحد مساعديه بتوجيه الأسئلة إلى كل فرد خلال مقابلة شخصية ثم يسجل الإجابة. وهذا الأسلوب يصلح للاستعمال في دراسة الجماعات محدودة الثقافة، كما يمكن أن يرسل الباحث قائمة الأسئلة بالبريد إلى الأفراد موضوع الدراسة ويطلب منهم تسجيل إجاباتهم عليها وإعادتها إليه بالبريد أيضا. وعادة تتبع الخطوات التالية في دراسات المسح الاجتماعي:

١ـ تحديد مشكلة البحث والمتغيرات المراد تناولها في البحث.

٢ـ تحديد الجماعة التي يراد دراستها أو ما يسمى بمجتمع البحث أو الشاملة. وتمثل الشاملة الأفراد الذين يقصد الباحث دراستهم وتفسير سلوكهم الاجتماعي. إلا أن

الباحث عادة ما لا يستطيع دراسة الشاملة بأكملها ولذا فإنه عادة ما يلجأ إلى دراسة مجموعة صغيرة منها تسمى العينة .

٣ـ اختيار عينة البحث : وهنا يقوم الباحث باختيار الأفراد الذين تشملهم الدراسة . وترجع أهمية اختيار العينة إلى أن الباحث سوف لا يستطيع تعميم نتائجه على شاملة البحث ما لم تكن العينة ممثلة للشاملة . ومعنى أن العينة تكون ممثلة للشاملة أن تكون مشابهة لها في معظم الصفات الأساسية . ويضمن الباحث أن العينة ممثلة إذا كان كل أفراد الشاملة أمامهم فرص متساوية للدخول في العينة . وهناك طرق كثيرة لتحقيق الفرص المتساوية من أسهلها وأكثرها شيوعا أن يكون الاختيار عشوائيا .

٤ـ إعداد استمارة البحث : استمارة البحث هى قائمة بمجموعة الأسئلة المراد توجيهها إلى كل من أفراد العينة . ويقوم الباحث بصياغة الأسئلة بحيث تكون صالحة لقياس المتغيرات التي تشملها الدراسة . ويراعى في ذلك أن يكون مستوى الأسئلة مناسبا لمستوى شاملة البحث ، وأن تكون واضحة وغير جدلية بحيث تؤدي إلى نوع الإجابة المطلوبة .

٥ـ جمع البيانات : ويتم ذلك بالحصول على إجابات أفراد العينة على أسئلة استمارة البحث . وقد يتم ذلك بإرسال استمارة البحث بالبريد أو بمقابلة كل فرد في العينة وتوجيه الأسئلة إليه وتسجيل إجابته .

٦ـ تفريغ البيانات : وهنا يتم نقل الإجابات من استمارة البحث إلى كشوف خاصة تمهيدا لتحليلها .

٧ـ تحليل البيانات : وهنا تعامل البيانات بالطرق الإحصائية المناسبة للإجابة على أسئلة البحث .

٨ـ كتابة النتائج والخلاصة : وهنا يقوم الباحث بصياغة ما توصل إليه البحث من نتائج ويخرج باستنتاجات في صورة تعميمات واقعية أو في صورة حكم على فروض بالقبول أو الرفض .

مثال : دراسة عن الطلاق ـ التوافق الزواجي ـ العنف الأسري

(تناقش مع الطلاب خطوات البحث الاجتماعي لكل حالة)

(ب) استعمال الإحصائيات والتعدادات :

كثيرا ما يستعمل علماء الاجتماع في دراساتهم بيانات مجمعة لأغراض عامة أخرى مثل تعدادات السكان وسجلات الهيئات والمصالح الرسمية . وفي هذه الحالة فإن الباحث يكون محدودا بنوعية المتغيرات التي تتضمنها الإحصائيات . ويتعين عليه أن يخطط بحثه لكي يستفيد من البيانات المتاحة ويكتفي بها .

مثال : عدد السكان بالمحافظات . . . ومعدلات المواليد والوفيات والهجرة / محافظة ، عدد المدارس وأنواعها / محافظة ، عدد الطلبة والطالبات بالمدارس / محافظة ، المستويات التعليمية لسكان المحافظة : أمي ـ يقرأ ويكتب ـ ابتدائية ـ إعدادية ـ ثانوية ـ جامعة ـ دراسات عليا .

(جـ) التجربة

التجربة إجراء بحثي يقوم الباحث بمقتضاه بالتحكم في العوامل المختلفة التي يحتمل أن تؤثر في الظاهرة موضوع الدراسة . ثم بعد ذلك يغير من قيمة أحد المتغيرات ويلاحظ أثر ذلك على متغيرات أخرى . وعادة تتم التجربة كالآتي :

١ـ جمع الأفراد الخاضعين للتجربة وتقسيمهم عشوائيا إلى مجموعتين أو أكثر .

٢ـ تخصيص المجموعات إلى مجموعات تجريبية وهذه سوف يعامل الباحث كلا منها معاملة معينة ومجموعة ضابطة وهذه سوف لا يتعامل معها الباحث.

٣ـ قياس قيم المتغير التابع في المجموعات المختلفة للتعرف على ما إذا كانت المعاملات التجريبية قد غيرت من قيم المتغير التابع لها أم لا.

٤ـ الخروج بالاستنتاجات الخاصة بالعلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع. وعموما فالتجربة أسلوب بحثي محدود الاستعمال نسبيا في علم الاجتماع.

مثال استخدام طريقة تدريس معينة للمجموعة التجريبية.

(يناقش مع الطلاب خطوات المنهج التجريبي في حالات مختلفة).

٢ـ الطرق الكيفية Qualitative methods

الطرق الكيفية هي تلك التي يقوم فيها الباحث بجمع بيانات نوعية لا يمكن تحويلها إلى أرقام. ومن هذه الطرق ما يلي:

(أ) **الملاحظة بالمشاركة** Participant observation

وفيها يتفاعل الباحث مع الجماعة التي يريد دراستها بصورة مركزة ولمدة زمنية طويلة قد تمتد لسنوات. وخلال هذا التفاعل تتاح للباحث فرصة التعرف على كثير من أعضاء الجماعة والمشاركة في نشاطها، وتتألف البيانات البحثية من المذكرات المفصلة التي يدونها الباحث عندما يخلو بنفسه بعد التفاعل مع الجماعة. وعادة ما يقوم الباحث بتدوين ملاحظاته يوميا حتى لا تتعرض للضياع والنسيان.

(ب) **المقابلة المفتوحة**: Open interview

وفيها يقابل الباحث بعض الأفراد الذين يعتقد أن لديهم المعلومات التي يريدها. وفي هذه الحالة يكون لدى الباحث مجموعة من الموضوعات المطلوب تغطيتها. ويتحدث الباحث مع الشخص حول هذه الموضوعات ويدون بعض الملاحظات أو

يقوم بتسجيل المحادثة بجهاز تسجيل صوتي حتى يستطيع أن يستعرضها ويدرسها فيما بعد. ومن المتوقع والأمر كذلك أن تختلف طريقة سير المحادثة باختلاف الشخص كما تختلف الإجابات من شخص لآخر.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن أفضلية استخدام الطرق الوصفية أو الطرق الكمية يتوقف على موضوع الدراسة والغرض منها وكمية المعلومات التي يعرفها الباحث عن الموضوعات.

وعموما يمكن القول بأن الطرق الكمية أكثر دقة من الطرق الكيفية إلا أنها تتطلب توفر قدر غير قليل من المعلومات عن موضوع الدراسة. وإذا أراد الباحث اختبار فرض أو مجموعة فروض فإنه يحتاج إلى استعمال الطرق الكمية لأن استعمالها يوفر درجة الدقة اللازمة للحكم على صحة الفرض من عدمه. أما الطرق الكيفية فإنها تصلح لدراسة الظواهر الاجتماعية التي لا يعرف الباحث عنها إلا قليلا. ففي هذه الحالة تعتبر الطرق الكيفية وسيلة لزيادة فهم الباحث لطبيعة الجماعة أو الظاهرة. وهذا الفهم يمكن استعماله في وصف الظاهرة وفي صياغة فروض علمية بشأنها.

أسئلة على الباب الثاني

١ـ اشرح خطوات المسح الاجتماعي بالتفصيل؟ مع التطبيق على موضوع اجتماعي معين؟

٢ـ اشرح خطوات المنهج التجريبي بالتفصيل؟ مع التطبيق على موضوع اجتماعي معين؟

٣ـ قارن بين الملاحظة المنظمة والمقابلة المفتوحة؟

٤ـ حدد استعمالات التعدادات في البحث الاجتماعي؟

٥ـ من هو القائد الملهم ؟ وهل يمكن وجود عالم اجتماع ملهم؟ ولماذا؟

٦ـ يستخدم في دراسة الحديث النبوي طريقة الرواية فلان عن فلان (العنعنة). هل يمكن تطبيق هذه الطريقة في علم الاجتماع؟ ولماذا؟

٧ـ فرق بين كل من الأزواج الآتية :ـ

(أ) التقليد والبداهة (ب) الحجة والإلهام (جـ) البداهة والعلم

الباب الثالث
الثقافة Culture

تمهيد:

الثقافة هى مجموعات من الرموز المشتركة بين جماعة معينة تتكون نتيجة للتفاعل الرمزي. وتعمل الثقافة على مساعدة الأفراد على معرفة السلوك المقبول وغير المقبول. كما أنها هي التي تساعد الإنسان في عملية التفكير، وكثيرا ما نسمع في حياتنا تعبيرات مثل الثقافة الإسلامية والثقافية العربية والثقافة الغربية وغيرها، الأمر الذي يشير إلى أن الثقافة وإن كانت من الموجودات الأساسية في الحياة الاجتماعية فإنها تختلف من مجتمع لآخر ومن جماعة لأخرى. ودراسة الثقافة ليست من مباحث علم الاجتماع وإنما من المبحث الرئيسي لعلم الأنثروبولوجيا. ولكن الثقافة باعتبارها موجه السلوك البشري الاجتماعي تسهم (وربما تتحكم) في تشكيل كثير من الظواهر الاجتماعية التي يدرسها علم الاجتماع. ومن هنا فإنه من المفيد لدارس علم الاجتماع أن يتعرف على طبيعة الثقافة. وهذا هو ما نعرضه في هذا الباب.

تعريف الثقافة:

ليس هناك تعريف متفق عليه للثقافة إلا أن معظم الدارسين يفضلون تعريف تابلور الذي يذكر إن الثقافة هي ذلك المركب الذي يشمل المعلومات والمعتقدات والفنون والقوانين والعادات والقدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كفرد في مجتمع. إلا أن هناك تعريفات أخرى كثيرة نورد منها تعريف كلوكهوهن الذي يرى إن الثقافة هي الحياة الكلية لجماعة من الناس. وتعريف شبرد الذي يقول إن الثقافة هي أنماط من التفكير والشعور والسلوك يصنعها الإنسان وتنقل اجتماعيا إلى مجتمع

كامل أو جزء منه . وربما كان التعريف الأخير هو أكثر التعريفات فائدة للطالب المبتدئ حيث يوضح له مصدر الثقافة ومحتواها بإيجاز ووضوح .

مميزات الثقافة

تتميز الثقافة بخمس صفات أساسية هى :

١ـ أنها من صنع الإنسان : فنظرا لقلة الأنماط السلوكية الموروثة لدى الإنسان فانه يضطر إلى صنع الثقافة كوسيلة لإيجاد أنماط سلوكية تساعده على أن يتكيف التكيف السليم للبيئة . وهذه الأنماط التي يصنعها هي الثقافة . وعلى هذا فالثقافة ليست غريزية أو طبيعية وإنما هي من إنتاج الإنسان . وتنمو الثقافة خلال عملية التفاعل الرمزي حيث ينقل الإنسان تجاربه الناجحة إلى الآخرين . فأي كائن حي غير الإنسان إذا ظهر إلى الحياة وحيدا قد يستطيع أن يواجه مطالب الحياة بما أودع الله لديه من أنماط سلوكية ولكن الطفل البشري لا يستطيع ذلك بدون مساعدة كبيرة من الخارج (وقارن مثلا بين قابيل والغراب) .

٢ـ إن الثقافة تنتقل عن طريق التعلم : لما كانت الثقافة غير غريزية كان لابد من تفسير لانتشارها وانتقالها بين الناس . والرأي السائد أن الإنسان يتعلم الثقافة . وعلى هذا فان الثقافة تنتقل من جيل إلى آخر خلال ما يسمى بعملية التنشئة الاجتماعية ، وخلال تلك العملية يتعلم الجيل الجديد الأنماط الثقافية من الجيل السابق .

وعلى هذا يمكن القول بأن الثقافة هي التراث الاجتماعي للإنسان . وأن التراث صنعته الأجيال السابقة وعلى الأجيال اللاحقة أن تتعلمه . هذا ويتوقف صنع الثقافة ونقلها من جيل لآخر على قدرة الإنسان على استعمال الرموز أو ما يسمى باللغة .

واللغة تساعد على تنمية ونقل الثقافة لأن استعمال الرموز يساعد الإنسان على أن يتخطى الحدود الزمانية والمكانية لتوصيل المعاني. فالإنسان يستطيع استعمال رموز اللغة لنقل خبراته وأفكاره ومعلوماته إلى الجيل التالي (انظر كيف نَطَقْت اللغة وكيف عَرَفْت التاريخ الإسلامي وكيف وُجّهت إلى الطريقة الصحيحة للمشي والجلوس والأكل وكيف عرفت كذكر أو كأنثى أنك تختلف عن النوع الآخر اختلافا يتطلب سلوكا مغايرا).

٣ـ الثقافة مجردة: المجردات هي الأمور التي يدركها العقل ولا تدركها الحواس، ومعنى ذلك أنه لا يمكن رؤية الثقافة بصورة مباشرة. وإنما يمكن استنتاج وجودها من سلوك الأشخاص. فالثقافة لا يمكن إدراكها إلا من خلال السلوك الاجتماعي. فمن خلال تتبع أنماط التفكير والإحساس والسلوك الذي يسود بين الناس يمكن تمييز الثقافة. فطالما أن السلوك البشري متكرر ويمكن التنبؤ به فإننا نقطع بأن هناك ثقافة تحكمه. وعلى هذا فالثقافة ليست كيان ملموس ولكنها كيان مجرد. صحيح أننا قد نجد بعض الثقافة في كتب التراث المجتمعي ولكن هذه الكتب ليست هي الثقافة، وإنما ما تتضمنه من أفكار ورموز ومعاني هي الثقافة. وتلك الأفكار والمعاني تظل دائما أمورا مجردة تدرك بالعقل لا بالحواس.

٤ـ الثقافة لها بنية محددة: تتكون الثقافة من العديد من الرموز والأفكار العامة والمشتركة بين الأفراد. ووجود الثقافة يساعد على تثبيت الحياة الاجتماعية على نحو محدد يتكرر بصورة نمطية. وعلى هذا فالثقافة نفسها نمطية. ووصف الثقافة بأنها نمطية يوحي بأن لها بنية محددة يمكن تمييزها لأن هذه البنية متماسكة ومتكاملة. ورغم أن تكامل بنية الثقافة قد لا يكون سليما أو واضحا فان الثقافة (أي ثقافة) لها حد

أدنى من الهيكل البنائي بحيث أن تغيير هذا البناء تغييرا مفاجئا قد يتلف الثقافة بأكملها (تصور مثلا ماذا سيحدث في المجتمع لو ألغى قانون المرور (جزء من الثقافة) أو قانون العقوبات أو أعطى الأفراد حق الثأر، إذن لارتبكت كثير من أوجه الحياة رغم أن التغير شمل جزءا صغيرا ولكنه ركن من أركان البناء)

٥ـ تختلف درجة الاشتراك في الثقافة داخل المجتمع الواحد: عادة ما يستلزم نقل الثقافة أن تكون مشتركة بين أفراد الجهاز الاجتماعي، فلكل جهاز اجتماعي صغيرا كان أم كبيرا مجموعة من الأنماط الثقافية التي تمارس ضغطها على الأفراد. ولكن الأنماط الثقافية لا تسود بنفس الدرجة فبعضها يشترك فيه كل أعضاء المجتمع، وبعضها يشترك فيه قطاع محدد فقط من المجتمع. فكلنا مثلا نعرف شروط ومعايير الزواج، ولكن معرفة قانون العقوبات وقانون المقاولات مقصور على فئة معينة. علاوة على ذلك فإن درجة التمسك بنمط ثقافي معين قد يختلف من فرد لآخر ومن جماعة لأخرى. فالثقافة العربية مثلا تفضل زواج الأقارب ولكن ليس كل منا يتمسك بزواج الأقارب بنفس القدر. كما أن التمسك بزواج الأقارب قد يكون في المناطق الريفية بدرجة أكبر منه في المناطق الحضرية. وسوف نعود إلى هذه النقطة عند الحديث عن تكامل الثقافة.

مكونات الثقافة:

ذكرنا أن الثقافة تتكون من العديد من المعاني والرموز. ولا يمكن الإحاطة بجميع المعاني والرموز التي تتضمنها أي ثقافة. ومن هنا فإننا نصنف المعاني والرموز التي تحويها الثقافة إلى أنواع حتى يسهل استيعابها وتحليلها.

وللثقافة جانبين رئيسيين هما الثقافة المادية والثقافة الرمزية:

١ـ الثقافة المادية:

وتشمل كل العناصر التي يصنعها الإنسان والتي لها كيان عضوي ملموس مثل المباني والمنشآت والآلات وغيرها. وهذه العناصر ليست بذاتها جزء من الثقافة لأن اعتبارها كذلك يتنافي مع ما سبق ذكره من أن الثقافة مجردة. أما هذه العناصر فملموسة. ولكن هذه العناصر تكتسب أبعادا ثقافية من خلال عملية الترميز. فمثلا أسس إنتاج وتداول واستعمال هذه العناصر وقيمتها للإنسان عبارة عن عناصر ثقافية. وعلى هذا فان الشئ المادي يمكن أن يكتسب معاني مختلفة في المجتمعات المختلفة أو حتى في القطاعات المختلفة من نفس المجتمع. فالأشياء المادية التي من صنع الإنسان تصبح إذن عناصر ثقافية بمجرد أن يتناول المجتمع معاني معينة بخصوص إنتاجها واستعمالها وقيمتها. فمثلا السيارة كيان مادي ولكنك عندما ترى شخصا يركب سيارة مرسيدس تقول إنه شخص ثري. وهذا الربط بين السيارة والثراء هو فكرة ثقافية. كما أن أشياء مادية مثل الثوب والبدلة والعقال والعباءة والطربوش تكتسب لدينا معان محددة وبالتالي تصبح تلك المعاني جزءا من الثقافة.

٢ـ الثقافة الرمزية:

الأصل في الثقافة هو الرموز كما سبق القول. وعلى هذا فإن الجانب الأكبر من الثقافة رمزي. وتتكون الثقافة الرمزية من ثلاثة أنواع رئيسية هي المعتقدات والمثاليات والأفضليات.

أولا: المعتقدات Beliefs

تشير المعتقدات إلى الأفكار التي تصف الكون الذي يعيش فيه الناس، وكل جماعة بشرية لديها فكرة أو مجموعة أفكار معينة عن طبيعة العالم الذي يعيشون فيه. وهذه الأفكار تختلف في طبيعتها. فمنها ما هو نظريات علمية ومنها ما هو خرافات

وأساطير . والمعتقدات عرضة للخطأ والصواب إلا أنها دائما شئ حقيقي موجـود في فكر الناس .

وهناك معتقدات يسهل اختبارها وتأكيدها أو دحضها مثل المعتقدات العلمية التي تختبر بالبحث العلمي .

وهناك معتقدات أخرى يصعب تعريضها لمثل هذا الاختبار مثل المعتقدات الدينية لأنه تتعلق بأمور من الصعب إخضاعها للدراسة الدقيقة .

مثلا الاعتقاد الذي ظل سائدا لفترة من الزمن عن أن الأرض مسطحة وإنها مركز الكون قد تراجع أمام البحث العلمي الذي أثبـت بالـدليل أن الأرض كرويـة وإنهـا تدور حول الشمس . وأصبح معظم الناس حاليا يعتقدون في ذلك . أمـا الاعتقـاد في وجود إله فإنه لا يخضع لمثل هذا الاختبار . كما لا يخضع لمثل هذا الاختبـار الاعتقـاد في وجود الشياطين والعفاريت والجن . والقول بأنهم يأتون أفعالا معينة .

ومن السمات الهامة للثقافة هي أنها مشتركة بين الناس . وعـادة مـا يميـل النـاس الذين يشتركون في ثقافة معينة إلى أخذ موقف موجب من المعتقـدات الـتي يـسلمون بأنها حقيقية . كما يميلون إلى أخذ موقف عدائي مـن بـني قـومهم الـذين لا يقبلـون معتقداتهم . وكلنا يعلم على سبيل المثال ما لاقاه الرسل من مجتمعاتهم المـشركة مـن جراء المناداة بمعتقدات مختلفة « ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون »، ومن أمثلة ذلك أيضا ما لاقاه جاليليو من جراء إعلانه أن الأرض ليست مركز الكون .

وتعتبر التكنولوجيا أحـد فـروع المعتقـدات الثقافيـة . ونعـني بالتكنولوجيـا هنـا المعتقدات التي توضح كيف يمكن للبشر التعامل مع الحقيقة بصورة تخدم أغراضـهم مثل طرق طهي الطعام وزراعة الأرض .

وهناك نوعان من التكنولوجيا أحدهما فني أو هندسي ويعني بتشكيل الحقيقة المادية لخدمة البشر مثل طرق بناء المساكن وتمهيد الطرق ومد خدمات الكهرباء والغاز وغيرها.

وثانيهما التكنولوجيا الاجتماعية ويعني بمعالجة الحقائق غير المادية لخدمة المجتمع مثل نظم التعليم والصحة ووسائل الإعلام. وتنتقل هذه التكنولوجيا بشقيها من جيل إلى آخر. فمثلا تتعلم الفتاة طرق طهي الأطعمة من أمها، ويتعلم النجار أصول الصناعة من والده أو من نجار أكبر، وكذلك الحال في كل المهن والحرف الموجودة في المجتمع كالطب، والتدريس، والخياطة وغيرها.

ثانيا: المثاليات Ideals

في حين تتعلق المعتقدات بالكون المحيط بالإنسان، تتعلق المثاليات بأفعال البشر أنفسهم، والمثاليات عبارة عن مجموعة الأفكار التي تحدد ما يجب أن يكون. ويبدو أن البشر يميلون دائما إلى الحكم على الحقيقة عن طريق أسس معينة تسمح لهم باستنكار الأفعال إذا لم تكن كما يجب، والثناء عليهم إذا كانت كما ينبغي. وكل ثقافة تشمل على أسس ثابتة وواضحة تحدد الأفعال المقبولة والأفعال غير المقبولة. وعادة ما يؤدي الخروج على هذه المثاليات من جانب بعض الأفراد إلى إثارة باقي الجماعة عليهم.

وهناك نوعان من المثاليات في أي ثقافة هما المعايير والقيم.

١ـ المعايير Norms :

هى الأسس التي يتم على أساسها الحكم على سلوك معين بأنه مرغوب أو ممقوت. وتنقسم المعايير من حيث علاقتها بالسلوك إلى معايير تحدد السلوك المرغوب

وتحث الأفراد على إتيانه، ومعايير تحدد السلوك الممقوت وتحض الأفراد على الابتعاد عنه. وغالبا يؤدي الخروج على معايير الجماعة إلى معاقبة الخارجين. إلا أن هذا العقاب يختلف في نوعيته وكيفية تنفيذه من معيار لآخر وتنقسم المعايير طبقا لذلك إلى ثلاثة أنواع هي:

(أ) **الطرق الشعبية** Folkways:

وهى معايير شائعة بين أفراد جماعة أو مجتمع معين. ويؤدي الخروج عليها إلى كراهية أفراد الجماعة الخارجين عليها. إلا أن هذا لا يستلزم توقيع عقوبة معينة عليهم. وتعتبر الطرق الشعبية قليلة الأهمية نسبيا في حياة الجماعة، لأن الخروج عليها لا يشكل تهديدا صارخا لكيان الجماعة ككل. ولهذا فالخروج عليها قد يكون أمرا محتملا. ومن أمثلة الطرق الشعبية تبادل التحية والمجاملة في الأفراح والمواساة في الأحزان. . وهنا قد يعتب عليك صديق إذا لم تبادره بالتحية، وقد يغضب منك أقاربك إذا لم تحضر حفل زفاف في محيط العائلة. وقد ينكر الكل عليك هذا السلوك أو ذاك ولكن أحدا سوف لا يحاكمك على ذلك. وإذا كانت الجماعة هي محور اهتمامك فسوف تعتذر عما فعلت باعتباره خطأ وتعزم على عدم تكراره.

(ب) **العرف** Mors:

وهى معايير تعتبر ضرورية لاستقرار الجماعة والمجتمع ويؤدي الخروج عليها إلى توقيع عقوبات على الخارجين. ويقوم أولي الأمر في الجماعة بتوقيع العقوبة حسب مقتضى الحال. إلا أن هذه العقوبات لا تأخذ صفة الرسمية بمعنى أنه لا توجد نصوص تقول إن من يخرج على العرف المعين يعاقب بعقوبة كذا. فإذا

تعرض فرد في البادية لأنثى مثلا عقدت له محاكمة من حكماء المنطقة وحكم عليه بعقوبة مناسبة .

(جـ) **القوانين** Laws :

وهى معايير أساسية لاستقرار الجماعة ويستلزم الخروج عليها عقوبة معينة منصوص عليها رسميا . وهذه النصوص الرسمية هي التي تميز القانون عن العرف . وتحدد النصوص الرسمية الهيئات التي من حقها ومن واجبها إصدار العقوبات كما تحدد الهيئات التي من واجبها تنفيذ العقوبات . . فمثلا تختص المحاكم الرسمية بإصدار العقوبات وتختص أجهزة الأمن بتعقب المخالفين وتقديمهم إلى المحاكمة كما تختص بتنفيذ الأحكام التي تصدر .

٢ـ القيم Values :

وهى مثاليات مجردة تعبر عن تطلعات جماعة من البشر دون أن تحدد معايير السلوك . وعادة ما تكون القيم محملة بشحنة عاطفية لدى أفراد المجتمع . فهي مجموعة من الأحكام العقلية الانفعالية التي تحدد اتجاهاتنا وتفضيلاتنا تجاه مجموعة من القيم المجرده ومن أمثلة هذه القيم الديمقراطية والحرية والإيمان والأمانة والشرف والقوة والنزاهة والنظافة . . . وما إليها ، وفي كل حالة يفضل للإنسان أن يتمسك بالقيمة ويدافع عنها ولكنه لا يعطي تعليمات محددة وواضحة لذلك مثل المعايير .

ثالثاً الأفضليات Preferences:

وهى الأفكار التي تحدد المرغوب وغير المرغوب في الحياة الاجتماعية في جماعة دون أن تطلبه صراحة أو تحدد عقوبة لمن يخالفه . وتختلف الثقافات المختلفة في تحديد الأهداف العامة من الحياة البشرية . كما أن تحديد معنى السعادة والشقاء يختلف باختلاف الثقافات . كما أن أنواع الأطعمة المرغوبة يختلف من ثقافة لأخرى

إلى غير ذلك . وخلاصة القول أن تفضيل أمر معين على آخر هو نتاج الانتماء إلى ثقافة معينة . فالثقافة تقول للأفراد ما الذي ينبغي أن يفضلوه في مواقف معينة وفي أمور معينة . ومن أمثلة ذلك الفروق في الملبس والمسكن والموسيقى والمأكل بين المجتمعات .

تكامل الثقافة

ليست الثقافة مجرد مجموعة من الرموز التي تعبر عن المعتقدات والمثاليات والأفضليات ولكنها تركيب متكامل لهذه المكونات . وعلى ذلك فلا يمكن استنتاج معنى عنصر في معزل عن فهم الثقافة التي هو جزء منها . والواقع أن تكامل الثقافة مسألة نسبية حيث إننا قد نجد الأفراد والجماعات في ثقافة معينة يتفاوتون في درجة إيمانهم بعنصر ثقافي معين . وعلى ذلك يمكن تقسيم العناصر الثقافية إلى قسمين هما العموميات الثقافية وهى التي يعتنقها كل من يعيش في ثقافة معينة . والخصوصيات الثقافية وهى التي يعتنقها جزء محدود من الأفراد الذين يعيشون في ثقافة معينة .

فمثلا قد يتفق جميع أفراد المجتمع على ضرورة العمل على تنمية اقتصاد المجتمع . ومع ذلك قد يرى البعض أن النهوض بالإنتاج الزراعي هو الوسيلة الأصلح في حين يرى آخرون أن التوسع في الصناعة هو الأصلح . وعادة ما يحدث نتيجة الإيمان بعناصر ثقافية معينة أن تظهر ثقافات جزئية داخل الثقافة الكلية الواحدة . وكل ثقافة جزئية تمثل أولئك الذين يشتركون في عدد معين من العناصر الثقافية غير السائدة (خصوصيات ثقافية) وهذه الثقافة الجزئية تنقسم من حيث علاقاتها بالثقافة الكلية إلى نوعين هما :

(أ) **الثقافة الفرعية** Subculture :

وهى الثقافة التي تشترك مع الثقافة الأصلية في العناصر الأساسية ولكنها تختلف عنها في بعض العناصر الفرعية ومثال ذلك الثقافات المهنية والحرفية المختلفة (الأطباء- المهندسين- التجاريين . . . . الخ) . وثقافة الشباب . وهذه الثقافة الفرعية تعيش في حالة وئام مع الثقافة العامة التي هي جزء منها . كما أن الثقافة العامة تقدر الثقافات الفرعية وتعترف بها وترعاها لأنها تحفظ لها بعض عناصرها التي لا يلزم أن يشترك فيها الجميع فلا يتوقع المجتمع أن يتعلم كل فرد المعتقدات الطبية أو المعتقدات أو المعتقدات الهندسية، وإنما يكتفي بفئة متخصصة تتعلم تلك المعتقدات، وتشكل ثقافة فرعية، ومن جهة أخرى فان بعض الثقافات الفرعية تنشأ تلقائيا نتيجة تكوين عناصر ثقافية خاصة بها مثل ثقافة الشباب .

(ب) **الثقافة المضادة** Contra culture:

وهى الثقافة التي تشترك مع الثقافة الأصلية في معظم العناصر الأساسية إلا أنها تختلف معها في بعض العناصر الأساسية . وهذا الاختلاف يجعلها تسعى إلى تغيير الثقافة الأصلية كلية حتى تتمكن من فرض العناصر التي تراها أساسية . وهذا يخلق نوعا من العداء بين الثقافة السائدة والثقافة الفرعية . وهذا العداء يجعل الثقافة السائدة تنكر شرعية الثقافة المضادة . كما أن الثقافة المضادة تسعى إلى هدم وتغيير الثقافة القائمة . ومن الثقافات المضادة ثقافة المنظمات الثورية بمختلف أشكالها .

(هل ترى ثقافات مضادة في مجتمعك؟ ما هي؟)

وظائف الثقافة :

تؤدي الثقافة وظيفتين رئيسيتين هما :

١ـ إن الثقافة تحرر طاقات البشر : فالإنسان يستطيع أن يفعل أشياء لا يمكن لأي حيوان آخر أن يفعلها . وذلك بفضل الثقافة . فالثقافة هي التي تساعد الإنسان على تطبيق خبراته لحل المشكلات الاجتماعية . ويأتي ذلك من قدرات الإنسان على التعلم التي تتيح للإنسان نقل خبراته لأخيه الإنسان الذي لم يمر مباشرة بهذه الخبرات . وعليه فإن الثقافة بمرورها من جيل إلى جيل هي التي تزيد من قدرة الإنسان على التكيف للبيئة التي يعيش فيها والتعامل معها بأقصى كفاءة ممكنة .

٢ـ إن الثقافة تحدد الأنشطة البشرية : إذا كان الإنسان يستعمل الثقافة لتحرير طاقته من أجل تحسين وضعه فلابد من وضع حدود لهذا التحرير حتى يستقر النظام الاجتماعي . وهذه الحدود تعمل على الحد من السلوك المنحرف وتشجيع السلوك المنظم . وتتمثل هذه الحدود في تلك المعايير والقيم الثقافية التي توضح الخطأ والصواب للناس . ويعتقد البعض أن تنظيم السلوك عن طريق الثقافة لازم لأي مجتمع مستقر سواء كان متقدما أو متخلفا إلا أن شكل هذا التنظيم قد يختلف من مجتمع لآخر .

فمثلا يقوم المجتمع بتعليم الأفراد قيادة السيارات بإتقان حتى يستطيع استعمال السيارة أفضل استعمال في تحقيق مصالحه . ولكن المجتمع في نفس الوقت لا يترك لكل فرد أن يقود سيارته بالسرعة التي تمكنه منها قدراته . فالمجتمع يضع حدا أقصى للسرعة حتى يلتزم الأفراد بالحدود التي يرغبها المجتمع ويراها محققة للصالح العام .

التباين الثقافي :

من الملاحظ أن هناك تباينا بين الثقافات البشرية في مختلف المجتمعات. فليس من شك أن الحياة الاجتماعية تشهد كثيرا من المعتقدات الدينية والسياسية. وهذه الاختلافات ليست لها مغزى اجتماعي طالما أن أبناء كل ثقافة بمعزل عن الثقافات الأخرى بحيث لا يعرفون عنها شيئا. أما عندما يتعرض الأفراد لثقافات مغايرة كما يحدث عندما يسافر فرد إلى الخارج أو عندما يشاهد قنوات فضائية آتية من بعيد فإنه يدرك أن هناك فروقا بين ثقافته وثقافات المجتمعات الأخرى. بعض تلك الفروق قد تكون قليلة وبعضها الآخر قد يكون كبيرا.

فعندما ينتقل إنسان مصري أو سعودي إلى الجزائر والمغرب مثلا يدرك أنه أمام ثقافة تشبه ثقافته إلى حد كبير ولكن هناك اختلافات في الملابس والأطعمة المفضلة. أما عندما ينتقل نفس الفرد إلى ألمانيا أو فرنسا أو بريطانيا فإنه يدرك أنه أمام ثقافة تختلف كثيرا عن ثقافته فاللغة والملابس والمأكل ومعايير العلاقات بين الشباب وحدود السلوك المسموح به كلها تختلف عما تعود عليه. وعلى الفرد في كل حالة أن يتصرف ويسلك في مواجهة الثقافة الجديدة، وهنا يجد نفسه أمام أمرين رئيسيين هما:

١ـ التحيز الثقافي Ethnocentrism :

فعندما يتعرض الفرد لأول مرة إلى ثقافة أخرى فإنه عادة ما يرفضها. فالمعتقدات والمعايير الغربية عادة ما يحكم عليها بأنها غير صحيحة أو غير أخلاقية. ويعتبر كل فرد أن ثقافته أفضل من غيرها. وهذا يسمى بالتحيز الثقافي. فمثلا عندما يسمع أحد منا أن الهنود يعبدون البقر أو أن الأوروبيين يأكلون الضفادع فإنه سوف

يقابل هذا بالاستهجان. وينتج عند اختلاف الثقافات في ضوء التحيز الثقافي نوعان من السلوك هما:

(أ) أن يجد الفرد الذي ينتمي إلى ثقافة أخرى نفسه منبوذا أو معزولا داخل الثقافة التي ينتقل إليها لأنه ينظر إليه على أنه ينتمي إلى ثقافة أقل درجة. ويخشي أبناء الثقافة من التفاعل مع هذا الأجنبي مخافة أن يؤدي ذلك إلى زعزعة معتقداتهم الثقافية. فهم بذلك يعملون على حماية ثقافتهم من تأثير الغرباء.

(ب) أن يحاول الإنسان أن يعزل نفسه وثقافته اختياريا عن تأثير العناصر الثقافية التي يعتبرها غريبة. وقد يسلك أبناء الثقافات الفرعية في نفس المجتمع مثل ذلك. من ذلك ما تفعله الأسرة المالكة للمحافظة على التقاليد الملكية. ومنه ما تفعله أسر الطبقة المتوسطة من منع أطفالها من التعامل مع أوساط معينة حتى لا يفسدون. في كل الحالات المذكورة تسعى الثقافة إلى وضع الحدود والقيود والضوابط التي تضمن سلامتها ونقاءها عن طريق عزل نفسها من الغرباء عنها.

هذا وقد أدت معرفة التحيز الثقافي ببعض العلماء إلى القول بأن الخطأ والصواب أمورا نسبية وليست مطلقة. بمعنى أن الخطأ في ثقافة معينة ليس خطأ في كل الثقافات. وبناء عليه فان صلاحية الثقافة تصبح نفسها نسبية. ويعني ذلك أن أي ثقافة صحيحة للزمان والمكان والناس الذين توجد بينهم فقط أما فيما وراء ذلك فهي لا تنطبق لوجود ثقافة أخرى مغايرة ولكنها تؤدي نفس الدور. ولهذا فان من حق كل ثقافة أن تحافظ على نفسها بشتى الطرق كما أن عليها في نفس الوقت أن تعترف بحق غيرها من الثقافات في أن تفعل نفس الشئ.

ويقترح البعض زيادة الاحتكاك الثقافي كوسيلة للتقليل من شدة التحيز الثقافي. وتشير نتائج التجارب على الطلبة إلى وجود أمل كبير في هذا الصدد فالاحتكاك الثقافي المنضبط والمبني على الاعتراف المتبادل يؤدي إلى إدراك تباين الثقافات والتعايش معه. وربما شاهدنا آثار ذلك إذا حاولنا المقارنة بين مواقف الأفراد الذين يسافرون إلى الخارج كثيرا ومواقف الذين لا يسافرون إلى الخارج من الأجانب الموجودين في بلدنا.

٢ـ مصاعب الاتصال: يفترض في الاتصال أن يكون هناك اتفاق على معنى الرموز المستخدمة فيه. ولكن تعدد الثقافات وتعدد اللغات يجعل للرموز معان مختلفة في الثقافات المختلفة. وقد يقول قائل إن تعلم اللغات الأجنبية قد يؤدي للتغلب على ذلك، ولكن يوجد كثير من الرموز في كل لغة لا يمكن إيجاد مرادفات لها في لغة أخرى وبالتالي يصعب إدراك مغزاها كاملا. وإلى جانب الاختلافات في اللغة توجد اختلافات أخرى بين الثقافات تعوق عملية الاتصال. فقد وجد مثلا أن المسافة بين شخصين يتخاطبان وجها لوجه تختلف باختلاف الثقافات. وهذا الأمر قد يؤدي إلى صعوبة الاتصال حتى مع عدم وجود عوائق لغوية. وهذه فقط مجرد أمثلة لما يحدث نتيجة لاختلاف الثقافة من مصاعب اتصالية.

* * *

أسئلة على الباب الثالث

١ـ اشرح مميزات الثقافة؟

٢ـ قارن ووازن بين كل من الأزواج الآتية :

(أ) المعتقدات والقيم . (ب) الأفضليات والمعايير .

(جـ)العرف والقانون . (د) الثقافة الفرعية والثقافة المضادة .

(هـ) الثقافة المادية والثقافة الرمزية .

(و) العموميات الثقافية والخصوصيات الثقافية .

٣ـ ما هى وظائف الثقافة؟

٤ـ تحت أي من مكونات الثقافة تندرج كل من الأمور الآتية :

(أ) فانوس رمضان (ب) العلامات التي توضع على كتف الضباط

(جـ) الوقوف بالسيارة أمام إشارات المرور الحمراء . (د) الأمانة

(هـ) حفلات عقد القرآن

(و) انتظام الأطفال بعد سن السادسة في المدارس

(ز) حب الريفيين المصريين للفطير المشلتت (ح) العقال

(ط) حب الخليجيين للحم الضأن (ى) احترام كبار السن

٥ـ أي الأمور الآتية يعتبر مقبولا في المجتمع وأيها غير مقبول؟ ولماذا؟

(أ) فتى وفتاة في إحدى القرى يتواعدان تحت شجرة بانتظام .

(ب) طالب مجتهد في دروسه لا يلقي السلام ولا يرد السلام على أحد من زملائه بالكلية .

(جـ) زميل لك تزوج بمجرد حصوله على الثانوية العامة وقبل دخول الجامعة .

(د) موظف يذهب إلى عمله في الصباح بعد ساعة من بدء العمل .

(هـ) طالب وطالبة يقفان وحدهما في فناء الكلية يوميا لمدة ساعتين .

* * *

الباب الرابع
البنيان الاجتماعي

من المتفق عليه أن الحياة الاجتماعية لا تسير عشوائيا وإنما تتخذ شكلا محددا. وعادة ما يتحدد شكل الحياة الاجتماعية في ظل الثقافة السائدة. ويطلق علماء الاجتماع اسم البنيان الاجتماعي على الشكل المحدد للحياة الاجتماعية البشرية.

وقد يقول قائل إن الكثير من الحيوانات تعيش حياة اجتماعية محددة الشكل بصورة يمكن معها التنبؤ بها. إلا أن الفارق الأساسي بين الحياة البشرية والحياة الحيوانية هو أن الأخيرة تعتمد على الغريزة أو الخبرة المباشرة. أما الحياة البشرية فإنها تعتمد على الثقافة المجردة.

وعلى ذلك فان شكل البنيان الاجتماعي تحدده الثقافة القائمة، إلا أنه بدوره يؤثر في الثقافة بالتعديل والإضافة.

ويعتبر البنيان الاجتماعي هو أحد المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع. وهو مفهوم مجرد يمكن تطبيقه على أي وحدة اجتماعية واقعية، فالأسرة لها بنيان اجتماعي نعرفه جميعا يتكون من زوجين وذريتهما. وبين الزوجين علاقة زوجية تجعل منهما زوج وزوجة. وبين الزوج وكل فردمن ذريته علاقة أب بابنه أو ابنته وبين الزوجة وكل فرد من الذرية علاقة أم بابنها أو ابنتها. وبين أفراد الذرية بعضهم ببعض علاقات الأخ بأخيه والأخت بأختها والأخت بأخيها.

وبالمثل للمدرسة بنيان اجتماعي يتألف من المدير والمدرسين والتلاميذ والعمال والموظفين الإداريين، وبين كل منهم والآخرين علاقات متنوعة.

وهكـذا في جميـع الوحـدات الاجتماعيـة الـتي نراهـا، فـإذا ركزنـا علـى البنـاء الاجتماعي للأسرة نجد أننا يمكـن أن نطبقـه علـى كـل أسـرة وأي أسـرة تـصادفنا. وسوف لا يتغير الأمر كثيرا إذا كان الزوج هو عادل أو حسني أو عبد المجيـد. كمـا سوف لا يتغير الأمر إذا كانت الزوجة هي زينب أو هند أو نوال.

وهنا نـضيف أن البنيـان الاجتمـاعي مـستقل عـن الأفـراد، صـحيح أن الأفـراد ينتظمون في البنيان ويكملون هيكله، ولكن البنيان الاجتماعي نفسه كمفهوم مجرد له وجود مستقل مختلف عن الأفراد.

فإذا كان البنيان الاجتماعي مستقل عن الأفراد فلنا أن نتساءل مـم يتكـون البنيـان الاجتماعي إذن؟ للإجابة على هذا السؤال دعنا نعود إلى مثال الأسرة. أول ما نلحظ أن كل أسرة بها زوج، ولا يمكن للإنسان أن يكون زوجا إلا إذا وجـدت لـه زوجـة فوجود هذا الشرط شرط لوجود ذاك. ثم إن الأسرة عندما تنجب يصير الزوج أبـا. وبدون هذا الإنجاب لا يصح أن يقال له إنـه أب. فلكـي يتحقـق وجـود الأب يلـزم وجود ابن أو بنت. وإذا كان في الأسرة ولد واحد لا يكون له أخ ولا أخت. أمـا إذا تعدد الأولاد وكانوا ذكورا وإناثا صاروا أخوة وأخوات لبعـضهم الـبعض. وهكـذا يتضح أن هناك عناصر متلازمة تشكل البنيان الاجتماعي للأسرة هـي زوج- زوجـة- أب- أبن- أخ- أخت. . . . الخ.

هذه الوحدات تـسمى بالمواضـع الاجتماعيـة، وأي موضـع اجتمـاعي يكتـسب وجوده من وجود موضع أو مواضع أخـرى. فوجـود موضـع الأب شـرط لوجـود موضع الابن ووجود موضع الزوج لا يتحقـق إلا إذا لازمـه موقـع الزوجـة. وهـذا يؤكد أن المواضع الاجتماعية لا توجد منفردة وإنما يتصل كل منها بالآخرين بصلات

معينة تبرر وجوده وتحدد معناه. وما البنيان الاجتماعي إلا الصورة الشاملة لمجموعة المواضع الاجتماعية والصلات بينها. وعلى هذا فان مناقشتنا للبنيان الاجتماعي ينبغي أن تشمل مناقشة ثلاثة مستويات هي:

١ـ مستوى الوحدات الأساسية التي يتكون منها البنيان الاجتماعي، وهنا يمكن تحديد مواصفات تلك الوحدات التي يشغلها الأفراد في الحياة الاجتماعية، وهذه الوحدات تسمى بالمواضع الاجتماعية.

٢ـ الرابطة بين الوحدات الأساسية، وهنا يمكن تحديد شكل وضوابط الصلات التي تربط بين المواضع الاجتماعية.

٣ـ الهيكل الكلي للبنيان الاجتماعي، وهنا يمكن النظر نظرة كلية إلى البنيان الاجتماعي باعتباره وحده واحدة.

وفيما يلي سنتكلم عن كل من هذه المكونات.

أولا: الوحدات الأساسية (المواضع الاجتماعية)

يطلق على اللبنة الأساسية للبنيان الاجتماعي لفظ الموضع الاجتماعي. ويشير الموضع الاجتماعي إلى موقع معين داخل البنيان الاجتماعي، والموضع الاجتماعي عادة ما يحتله فرد معين. وعلى ذلك فان كل موضع اجتماعي في البنيان يشغله أحد الأفراد إلا في حالات نادرة. ولا يعني هذا أن الفرد يشغل موضعا واحدا في حياته ولكن يشغل العديد من المواضع الاجتماعية تبعا لعضويته في الجماعات المختلفة.

فالطالب مثلا يشغل موضع طالب بالكلية أو المعهد أو المدرسة، وموضع ابن أو بنت في الأسرة وموضع عضو في النادي، وموضع عضو في الحزب السياسي، وهكذا.

وقد تندرج عدة مواضع اجتماعية للفرد في بنيان اجتماعي واحد. فالرجل في الأسرة يشغل موضع الزوج وموضع الأب في ذات الوقت. والابن يشغل في نفس الوقت موضع الأخ. وفي حالات أخرى يشغل الفرد عدة مواضع اجتماعية كل منها في بنيان اجتماعي مختلف كما في مثال الطالب سالف الذكر.

وليس شغل الأفراد للمواضع الاجتماعية أمرا اعتباطيا. ولكن هناك نظما معينة لتحديد المواضع الاجتماعية التي يحتلها الأفراد. ويكتسب الفرد قيمة اجتماعية معينة نتيجة لشغله للموضع الاجتماعي. وهذه القيمة تسمى المكانة الاجتماعية، كما أن الفرد يكون ملزما بالقيام بمهام معينة مقابل شغله للموضع الاجتماعي وهذه المهام تسمى بالدور.

١ـ المكانة الاجتماعية: Status

المكانة الاجتماعية هى الجانب الثابت للموضع الاجتماعي. ويمكن تعريف المكانة الاجتماعية بأنها الموضع الذي يتمتع به الشخص بالنسبة للأشخاص الآخرين في البنيان الاجتماعي (الجماعة).

وتختلف المكانات الاجتماعية من حيث أساس حصول الأفراد عليها، فمنها ما يعطيه المجتمع للفرد دون أن يكون للفرد دور في ذلك. وهذه تسمى المكانات الممنوحة Ascribed ، وعادة ما يكون منح هذا النوع من المكانات مرتبطا باتصاف الفرد بصفة أو صفات معينة. ولا يستطيع الفرد أن يرفض المكانات التي تمنح له. ومن أمثلتها المكانات المرتبطة بالسن والجنس والأسرة وغيرها. وعادة ما تحدد المكانات الممنوحة إمكانيات الحصول على مكانة أو مكانات أخرى. فالوصول إلى

سن معينة مثلا لازم للزواج . وإذا ما أراد الفرد الزواج قد يقبل أو يرفض لأنه من أسرة معينة .

ومن المكانات الاجتماعية ما يحتله الفرد نتيجة لسلوكه في المجتمع ، وهنا يكون له الخيار في السعي إلى المكانة أو العزوف عنها وهذه تسمى المكانة المكتسبة Achieved ، والمفروض أن يتنافس الأفراد للحصول على المكانات المكتسبة كل قدر استطاعته . ومثال ذلك المكانة التعليمية حيث يمكن لكل فرد أن يجتهد للحصول على أعلى الدرجات كما يمكن له أن يعزف عن طلب العلم بعد مرحلة معينة .

وكل بنيان اجتماعي يحوى العديد من المكانات الممنوحة والمكانات المكتسبة ولكن الأهمية النسبية لأي من النوعين تختلف من بنيان اجتماعي لآخر . ففي البنيانات الصغيرة تكون معظم المكانات ممنوحة . أما البنيانات الكبيرة المعقدة فان معظم المكانات تكون مكتسبة .

وإذا نظرنا حولنا في عالم اليوم نجد مجتمعات كثيرة تخص فئات بالمكانات الهامة في البنيان الاجتماعي . ومن أمثلة ذلك الأسر المالكة في الدول التي تحكمها نظم ملكية كالمملكة المتحدة (بريطانيا) والدانمرك والمغرب والأردن وغيرها من الممالك . ومن أمثلة ذلك أيضا الاستثناءات التي يتمتع بها بعض الناس في التعليم وخلافه . وهناك كثير من المجتمعات التي تعتمد على الفرص المتكافئة لشغل معظم المكانات الهامة ، إلا أن الأمر ليس دائما بهذه السهولة . فغالبا ما يختلط المنح والاكتساب في شغل المواضع الاجتماعية حتى في المجتمعات التي تدعي الاعتماد على الفرص المتكافئة .

هذا وقد بات واضحا أن المكانات الاجتماعية في أي بنيان اجتماعي ليست متساوية. بل أن بعضها أفضل من البعض الآخر. وعندما نقوم بمقارنة المكانات على أساس قيمتها النسبية فإننا نطلق عليها اسم المنزلة الاجتماعية.

٢ـ الدور Role :

لا يوضع الأفراد في المواضع الاجتماعية ويتمتعون بالمكانات المرتبطة بها كغاية في ذاتها. وإنما شغل المواضع والتماس المكانات هو وسيلة لتحقيق غايات نتيجة قيام الفرد بدور محدد.

والدور هو السلوك المصاحب لمكانة معينة. إذ عادة ما يكون شغل مكانة معينة من وجهة نظر الجهاز الاجتماعي وسيلة لا غاية. وكونه وسيلة يقتضي أن يؤدي شاغله دورا معينا لمصلحة الجماعة. ويتمثل هذا الدور في مجموعة من الأنشطة السلوكية التي يأتيها شاغل المكانة.

وقد يفهم البعض من هذا الحديث أن كل الأدوار الاجتماعية معروفة ومحددة تحديدا واضحا، إلا أن الأمر في الواقع ليس كذلك، لأن هناك خلاف على تحديد الدور بين الأطراف المعنية، كما أن الثقافة قد تغفل تحديد الدور المصاحب لمكانات معينة تحديدا دقيقا. كما قد يحدث تغير في الحياة الاجتماعية يجعل الدور المحدد غير مناسب، ولما كانت المواضع الاجتماعية لا توجد فرادى كما أسلفنا، فإن الأدوار كذلك ليست مستقلة، وإنما تتحدد الأدوار في مواجهة شاغلي المواضع الأخرى المقابلة لموضع صاحب الدور. فالابن في الأسرة له دور محدد في مواجهة الأب ودور آخر في مواجهة الأخ الأكبر ودور ثالث في مواجهة الأخ الأصغر ودور رابع في

مواجهة الأخت الأكبر . . . . . وهكذا، وهناك ثلاثة مستويات يتحدد عندها الدور الاجتماعي . لكل شاغل موضع اجتماعي وهذه المستويات هي :

(أ) المستوى المثالي (الدور المثالي) : وهو عبارة عن مجموعة من الحقوق والواجبات التي تحددها الثقافة لكل من يشغل مكانة معينة . وتتعلق هذه الحقوق والواجبات بعديد من الأفراد الذين يتعامل معهم الفرد والذين يشغلون مكانات ترتبط بشكل ما بالمكانة التي يشغلها . فالفرد الذي يشغل مكانة ابن في الأسرة مثلا له حقوق قبل من يشغلون مكانات الأب والأم والأخ الأكبر والأخ الأصغر والأخت الكبرى والأخت الصغرى . . . . الخ . وعليه واجبات لكل من يشغل إحدى هذه المكانات .

وتختلف هذه الحقوق والواجبات باختلاف مكانة الطرف الآخر ، فدور الابن حيال الأب يختلف عن دوره حيال الأخت وهكذا . وعلى هذا فالدور الواحد تتعدد السلوكيات المطلوبة منه بتعدد الأطراف التي يتعامل معها القائم بالدور . وتهتم الثقافة ببعض المواضع الاجتماعية فتحدد أدوارها تحديدا دقيقا وشاملا . فالقانون يحدد دور الأستاذ والموظف والوزير والأب والأم وشرطي المرور وغيرها . إلا أن هناك مواضع أخرى لا تقدم الثقافة وصفا محددا للأدوار المرتبطة بها كدور الجار والخادم والصهر وغيرها .

(ب) المستوى التوقعي (الدور المتوقع) : وهو مجموعة الحقوق والواجبات التي يحددها الأفراد الذين يتعامل معهم الشخص القائم بالدور ويتوقعون منه أن يسلك على أساسها .

أو بعبارة أخرى فان المستوى التوقعي لتعريف الدور هو السلوك الذي يتوقعه الأفراد الآخرون من القائم بالدور الاجتماعي .

وبديهي والأمر كذلك أن تتعدد تعريفات الدور على هذا المستوى بتعـدد الأفـراد الذين يتعامل معهم القائم بالدور . فالطالب مثلا يتوقع منه كل أستاذ سـلوكا معينـا كما أن كل زميل له يتوقع منه سلوكا مختلفا . ويكثر الاعتماد على التعريف التوقعي للدور في المواقف التي يكون فيها التعريف المثالي غير مكتمل أو غـير محقـق لمـصالح الأفراد أو غير موجود أصلا .

(جـ) المستوى الواقعي (الدور الفعلي) : وهو مجموعة الحقوق والواجبات التي يـرى شاغل المكانة أن عليه الالتزام بها ، وينعكس ذلك في السلوك الواقعي الذي يـأتي بـه الفرد الذي يقوم بالدور ، فالتعريف الواقعي للدور هو تحديد الدور كما يراه وينفـذه القائم بالدور . وجدير بالذكر أن التعريف الفعلي للـدور يتـأثر بكـل مـن التعريـف المثالي والتعريف التوقعي ولكنه كثيرا مالا يتطابق مع أي منها .

وجدير بالذكر والأمر كذلك أن تعريف الدور على المستويات الثلاثة عـادة مـا لا يكون متطابقا ، حيث توجد دائما بعض الاختلافات . إذ عـادة مـا ينـسى الأفـراد في تعريفهم للدور- عمدا أو تجاهلا- بعض الحقوق والواجبات الـتي يحـددها التعريـف المثالي الذي تنص عليه الثقافة للدور ، كما أنهم يقومون بإضافة توقعـات معينـة لمـا ينبغي أن يكون عليه الدور ، ولهذا يأتي التعريف التـوقعي للـدور مغـايرا للتعريـف المثالي . كما ويأتي التعريف الواقعي مخالفا لغيره من التعريفات .

وهنا يثور سؤال عن موقف القائم بالدور حيال تعدد التعريفات . والحقيقة أنـه في معظم الأحيان فإن القائم بالدور عادة ما يؤدي الدور كمـا يـراه هـو علـى المـستوى الواقعي . إلا أنه أحيانا ما يحدث إلا يكون لدى القائم بالدور تعريف واضـح لـدوره وهنا تقع عدة مشكلات تؤدي إلى اختلال سلوكه أهمها :

١ـ غموض الدور Role ambiguity :

وهى حالة تحدث عندما لا يستطيع الفرد شاغل المكانة أن يعرف ما هو السلوك الذي ينبغي عمله . وقد يرجع ذلك لإهمال الثقافة والأفراد في تعريف دوره . أو قد يرجع إلى حدوث تغيرات في الظروف السائدة تجعل التعريف الموجود غير مناسب ويلزم إعادة تعريف الدور . ويحدث ذلك بالنسبة لأدوار مثل زوج الأم حيال أولاد زوجته ودور الحارس في خدمة سكان العمارة التي يحرسها .

٢ـ نزاع الدور Role conflict :

وهو حالة تحدث عندما يكون هناك أكثر من تعريف واحد للدور . ولكن التعريفات كلها متضاربة . ويؤدي ذلك إلى أن يكون شاغل الدور مشتتا وحائرا بين التوقعات المتضاربة .

وقد يكون سبب النزاع قيام الشخص بأدوار متعارضة بحيث لا يتفق سلوكه في دور معين مع سلوكه في دور آخر . كما قد يكون سبب نزاع الدور تضارب توقعات الآخرين لدرجة تجعل التوفيق بينها يبدو مستحيلا من وجهة نظر القائم بالدور . مثال ذلك ما يحدث للأم العاملة التي يكون مطلوبا منها إتقان دورها في العمل وإتقان دورها كزوجة وإتقان دورها كأم وكربة منزل . ولا تجد لديها القدرة على القيام بكل الأدوار كما ينبغي فتتنازعها الأدوار .

ثانيا: الرابطة بين الموضع الاجتماعية

المواضع الاجتماعية لا توجد في فراغ ولكنها أجزاء في البنيان الاجتماعي، وعلى ذلك فإنها ترتبط ببعضها البعض بروابط معينة تعطي البنيان الاجتماعي في النهاية شكله المميز، وللرابطة بين المواضع الاجتماعية جانبان أحدهما ديناميكي متغير

ويسمى بالتفاعل الاجتماعي. أما الجانب الآخر فانه ثابت أو استاتيكي ويسمى بالعلاقة الاجتماعية.

١ـ التفاعل الاجتماعي Social Interaction

يشير التفاعل الاجتماعي إلى التأثير المتبادل بين الأفراد بحيث يؤثر سلوك فرد معين في سلوك فرد آخر. كما أن ما يفعله الفرد الآخر يؤثر بدوره في سلوك الفرد الأول. أو هو تأثير الأفراد في سلوك بعضهم البعض. وعادة ما يتحدد هذا التفاعل أو التأثير المتبادل في ضوء المكانات التي يشغلها الأفراد أو الأدوار التي يقومون بها. ويأخذ التفاعل الاجتماعي أشكالا متعددة تبعا للهدف منه والقواعد التي تحكمه. فبعض أنواع التفاعل تعتبر وسيلة لتحقيق غايات معينة. وبعضها الآخر يعتبر غاية في ذاته ويطلق على النوع الأول التفاعل الوظيفي وعلى النوع الثاني التفاعل الاستهلاكي.

(أ) **التفاعل الوظيفي (وسيلة)** Instrumental Interaction:

يسعى كل فرد عادة إلى تحقيق أهداف معينة في الحياة، وقد يلعب الآخرون دورا مساعدا أو مثبطا في هذا الصدد، وعلى ذلك فإن كثيرا من الأهداف لا يمكن تحقيقها دون التفاعل مع الآخرين إما بغرض اجتذاب مساعدتهم أو اتقاء شرورهم المرتقبة. والتفاعل الذي يتم لهذا الغرض يسمى تفاعل وظيفي لأنه يكون كوسيلة للمساعدة على تحقيق أهداف الأفراد. فإذا تعطلت سيارة شخص فانه يقصد الميكانيكي الذي يساعده في تسييرها. وإذا صعب على طالب فهم موضوع قصد أستاذ أو زميل لمساعدته في فهم الدرس، ففي مثل هذه المواقف يساعد التفاعل أحد المتفاعلين. وقد يكون التعاون وسيلة لتجميع الطاقات البشرية لبلوغ هدف لا يستطيع أي فرد تحقيقه، بحيث أن تكاتف الجماعة تساعدهم على بلوغه. فإذا شب

حريق في منزل أحدهم وفقد السيطرة عليه يهب الآخرون أو رجال المطافي لإخماد الحريق. كما أن التعاون قد يأخذ صورة تقسيم العمل بين الأفراد بحيث يفيد كل فرد الأفراد الآخرين بسلوكه ويستفيد من سلوكهم. كما يحدث في كثير من مواقف الحياة. ففي الأسرة مثلا يقوم الأب بشراء المواد الغذائية وتقوم الأم بإعداد الطعام وتقوم البنت بتحضير المائدة ويقوم الابن بإعداد الفاكهة. وكل ذلك لمصلحة الجميع.

(ب) **التفاعل الاستهلاكي** Consummatory Interaction :

وهو ذلك التفاعل الذي يعتبر غاية في ذاته لأنه يوجد نوعا من الرضا عند أطراف التفاعل، ومن أمثلة ذلك تبادل التحية وتجاذب أطراف الحديث لغير هدف واضح سوى التسلية وما إلى ذلك.

٢ـ العلاقات الاجتماعية: Social Relationships

العلاقات الاجتماعية هي تفاعل نمطي متكرر بين فردين أو أكثر. وبعبارة أخرى فان التفاعل عندما يتكرر بصورة تجعل من السهل على الأطراف المتفاعلة التنبؤ به وتوقعه يمكن أن يطلق عليه علاقة اجتماعية.

ويساعد على تكوين العلاقات الاجتماعية أن تكون للأدوار الاجتماعية تعريفات مثالية تحددها الثقافة، وهذه التعريفات تساعد على تطور العلاقات الاجتماعية في فترة زمنية وجيزة، فالطالب ليس بحاجة إلى معرفة وتفاعل مسبقين بالمدرس، كما أن المدرس ليس بحاجة إلى معرفة الطالب والتفاعل معه قبل قيام العلاقة الاجتماعية بينهما، ولكن ينبغي على كل من المدرس والطالب فقط أن يعرف التعريف المثالي لدوره ولدور الطرف الآخر. وهذا وحده يكفي لقيام العلاقة الاجتماعية. ذلك أن

الثقافة تحدد السلوك المتوقع من الأفراد المتفاعلين وكل طرف يأتي إلى الموقف ولديه استعداد لتقبل دور الطرف الآخر كما تحدده الثقافة .

هذا وتختلف العلاقات الاجتماعية تبعا لأساس قيامها فمنها ما يقوم على أساس المعرفة الشخصية وتسمى العلاقات الشخصية . ومنها ما يقوم على معرفة مكانة الأطراف المتفاعلين وتسمى علاقات المكانة . كما تختلف العلاقات باختلاف مدتها فمنها ما هو مستمر ومنها ما هو عارض في حياة الأفراد . وفيما يلي وصف موجز لهذه الأنواع المختلفة من العلاقات الاجتماعية .

(أ) **العلاقات الشخصية** Personal Relationships :

وهى تفاعل نمطي متكرر يبنى على معرفة الأفراد المتفاعلين ببعضهم البعض ، ويتفاعل كل فرد مع الآخر كشخص .

ويتوقف تعارف الأشخاص على التفاعل المسبق الذي يتيح لكل منهم توقع سلوك الآخر في مواقف معينة . فإذا كان الشخص يتفاعل مع من يعرفه فانه يأتي بالأفعال وهو متأكد من الرد الذي ستثيره لدى الطرف الآخر . أما إذا كان يتفاعل مع فرد غريب فإنه لا يستطيع التنبؤ برد الفعل . ومن أمثلة العلاقات الشخصية علاقات الصداقة وعلاقات الحب وعلاقات الأخ بأخيه . ففي كل هذه الحالات لا يرضى الشخص بدلا عن الطرف الآخر في العلاقة .

(ب) **علاقات المكانة** Status Relationships :

أحيانا يستطيع الفرد توقع سلوك الآخرين دون معرفة شخصية سابقة . وعادة ما يكون ذلك عن طريق معرفة مكانات هؤلاء الآخرين ، والتفاعل النمطي المبني على معرفة مكانة الأفراد المتفاعلين لبعضهم البعض يسمى علاقة المكانة .

ومن أمثلة ذلك علاقة الطبيب بالمريض وعلاقة الأستاذ بالطالب وعلاقة الراكب بسائق التاكسي. ففي مثل هذه العلاقات ليس من الضروري أن يعرف الأفراد بعضهم البعض معرفة شخصية. ولكن يكفي أن يعرف كل منهم مكانة الآخر والسلوك النمطي للأفراد الذين يشغلون هذه المكانة. وفي مثل هذه الحالات قد لا تكون هناك أهمية لشخصية الطرف الآخر في العلاقة فأي أستاذ تكلفه الكلية بالتدريس مقبول وأي سائق تاكسي يتصادف مروره يمكن أن يؤدي المهمة.

(جـ) **العلاقات العارضة** Episodic Relationships:

وهى العلاقات الاجتماعية التي ينخرط فيها الفرد لمدة قصيرة أو التي تتكرر على فترات متباعدة. ومثل ذلك علاقات نزيل المستشفي بهيئة التمريض خلال مدة مكثه بالمستشفي وعلاقة المدرس بالتلميذ وعلاقة الكمساري براكب الأتوبيس، وعلاقات قائد السيارة برجل المرور وعلاقة العريس بالمأذون.

(د) **العلاقات المستمرة** Continuous Relationships:

وهى العلاقات الاجتماعية التي تستديم مع الفرد، صحيح أن ملامحها قد تتغير ولكنها تظل ثابتة على حالها لفترات طويلة. كما أن الفرد ينخرط فيها في كل لحظة إلا أنها أحيانا ما تكون كامنة لانشغال الفرد بعلاقات أخرى، ومن أمثلتها علاقة الولد بالوالد والزوج بالزوجة وعلاقة العامل بصاحب العمل. فمثل هذه العلاقات لا تترك الفرد وإن تركها ظاهريا. فهو قد يغيب عن الطرف الآخر ولكن هذا لا يقطع العلاقة. فقد يغيب الزوج عن زوجته أعواما وتظل زوجته وقد يأخذ العامل إجازة ولكن علاقته بصاحب العمل لا تنقطع.

ثالثا: البنيان الاجتماعي Social Organization

يمثل البنيان الاجتماعي مجموع التفاعل الاجتماعي الكلي الذي يحدث بين المواضع المختلفة في جماعة معينة. وللبنيان الاجتماعي جانبان أحدهما يمثل الهيكل العام للبنيان، ويمكن أن يطلق عليه الهيكل الاجتماعي، والآخر يمثل العملية التي بواسطتها يتم تشكيل الهيكل الاجتماعي، ويسمى بعملية البناء الاجتماعي.

(أ) **الهيكل الاجتماعي**:

إذا اعتبرنا المواضع الاجتماعية هى اللبنات التي يتكون منها البنيان الاجتماعي فان الروابط بين تلك المواضع تشكل مادة ربط اللبنات (المونة). وفي هذه الحالة فان المبنى الذي يتكون هو الهيكل الاجتماعي. وعليه فإن الهيكل الاجتماعي هو مجموعة متشابكة من العلاقات الاجتماعية المرتكزة على الثقافة السائدة، وبهذا فان الهيكل يمثل كيانا ثابتا نسبيا. أو هو مجموعة ثابتة نسبيا من التفاعلات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية بين المواضع الاجتماعية في كيان معين، ولكن هذا الهيكل رغم ثباته النسبي عرضه للتغير المستمر وليس كيانا جامدا.

وينتج التغير من إضافة مواضع اجتماعية جديدة كما يحدث عند مولد طفل جديد في الأسرة أو تغيير الأفراد الذين يشغلون المواضع الاجتماعية مثل انتقال مدرس من المدرسة واستبداله بآخر. أو تغير الأدوار المصاحبة للمواضع كما يحدث عندما يصدر قانون أو مرسوم يعيد تحديد بعض الأدوار. أو نتيجة لتغير العلاقات الاجتماعية القائمة بين شاغلي المواضع الاجتماعية، هذا وتتحدد ملامح الهيكل الاجتماعي في ضوء الانتظام النهائي لمكوناته، ولهذا يمكن التعرف عليه بتحديد

مجموعة المواضع الاجتماعية ومجموعة العلاقات الاجتماعية المكونة له . وهو بذلك يشكل المظهر العام للبنيان الاجتماعي .

(ب) عملية البناء الاجتماعي:

هو العملية التي يحدث من خلالها تشكيل الهيكل الاجتماعي (الزواج- الإنجاب) (التوظيف- والترقيات)

* * *

أسئلة على الباب الرابع

١ـ قارن بين كل من الأزواج الآتية :

(أ) المكانة الممنوحة والمكانة المكتسبة

(ب) التعريف التوقعي والتعريف المثالي للدور

(جـ) غموض الدور ونزاع الدور

(د) العلاقة الشخصية وعلاقة المكانة

٢ـ إلى أي نوع من العلاقات الاجتماعية تنتمي كل من :

(أ) علاقتك بزميل (أو زميلة) من نفس النوع .

(ب) علاقتك بزميل (أو زميلة) من النوع الآخر .

(جـ) علاقتك برجل الأمن في الكلية . (د) علاقتك بوالدتك .

(هـ) علاقتك بجار لك في السكن في مثل سنك .

(و) علاقتك بخالك الذي يقيم في منطقة بعيدة . (ز) علاقتك بالحلاق

(حـ) علاقتك ببائع الخبز في منطقتك .

(ط) علاقتك بأخيك المهاجر إلى الخارج .

(ى) علاقتك بأستاذ علم الاجتماع .

٣ـ كيف تفسر كل من الأقوال التالية في ضوء ما درسته عن أنواع التفاعل الاجتماعي .

(أ) اللي ما لوش قرايب مالوش عدو . (ب) اقسم للأعرج يسبقك .

(جـ) لاقيني ولا تغديني . (د) الوحدة خير من جليس السوء .

٤ـ عرف كلا مما يأتي مع التمثيل .

(أ) الموضع الاجتماعي. (ب) المكانة الاجتماعية

(جـ) العلاقة الاجتماعية العارضة (هـ) الهيكل الاجتماعي

* * *

الباب الخامس
العمليات الاجتماعية
Social Processes

تمهيد

اتفق العلماء على أن هناك خمسة عمليات اجتماعية رئيسية تحدث باستمرار في العلاقات الاجتماعية التي تسود بين الجماعات المختلفة وداخلها (الأفراد – الجماعات – النظم- الدول) وهي التبادل Exchange، والتعاون Cooperation، والمنافسة Competition، والصراع Conflict، والتوفيق Compromise.

وفي العادة فان عمليتي التبادل والتعاون تعتبران عمليات رابطة تعملان على تثبيت وترسيخ النظام الاجتماعي، بينما عمليتا التنافس والصراع عمليتان فاصمتان يمكن أن تؤديا إلى عدم استقرار النظام وبالتالي تقوداه إلى التغيير ، وبالنسبة لعملية التوفيق فهي بمثابة مزيج من العمليات الرابطة والفاصمة.

١- عملية التبادل Exchange process

تتم عملية التبادل عندما يقوم شخص (أ) بمساعدة شخص آخر (ب) فيرد (ب) بأن يساعد (أ) في عمل آخر. فعملية التبادل إذن هي تعامل بين شخصين أو جماعات أو مجتمعات يتم بينها فعل أو أفعال يحصلون بعدها على مكافآت من الطرف الآخر. قد تكون المكافآت مادية مثل الراتب أو هدايا، أو غير مادية مثل كلمة مديح أو شكر.

وعملية التبادل توجد في جميع أنواع المواقف، إذ أن الأمم تتبادل السلع والشراء، وكذلك الموظفين والعمالة مقابل رواتب يحصل عليها هؤلاء الموظفين أو العمال. أو قد يكون التبادل نصيحة وشكرا عليها.

وعملية التبادل تقوي العلاقات بين الناس وتزود كل طرف منها بما يحتاجه. ولكن إذا شعر أي من الطرفين بان التبادل غير عادل فان العلاقة بينهما قد تهتز وقد تنتهي.

٢ـ عملية التعاون Cooperation

في علاقة التبادل Exchange يمكن أن يقوم أحد الطرفين بالعمل وحده أما في علاقة التعاون فان الفرد يحتاج إلى شخص آخر يساعد في انجاز العمل أو ليكون العمل أكثر اتقانا. فالتعاون Cooperation علاقة يعمل فيها اثنان أو أكثر لانجاز أو تحقيق هدف مشترك.

وفي عملية التعاون قد لا يكون الطرفان متساويين في العمل الذي يتعاونان عليه وإنما قد يكون هناك فوارق بينهما.

وهناك أربعة أنواع من التعاون في العلاقات الاجتماعية.

١ـ التعاون التلقائي أو العفوي Spontaneous Cooperation

مثل عندما يساعد سائق سيارة مريضا وجده ملقى على ناصية الطريق، أو أن عائلة ما تساعد جيرانها في إخراج أطفالهم من بيتهم المحترق.

والتعاون التلقائي يوجد في كل المجتمعات قديمها وحديثها.

٢ـ التعاون التقليدي Traditional Cooperation

قد لا يوجد هذا النوع من التعاون في جميع المجتمعات خاصة في المجتمعات الكبيرة المتطورة بينما قد نجده في المجتمعات التقليدية المحلية. مثل أن يساعد أهل القرية أحد سكانها في حصاد المحصول.

هذا النوع من التعاون يزيد من استقرار المجتمع وتعاون أفراده.

٣ـ التعاون الموجه Directed Cooperation

هذا التعاون يتم بوساطة توجيه شخص مسئول وله سلطة معينة. مثل أن توجه الحكومة المواطنين لإطاعة قوانين المرور أو دفع الضرائب أو انتظام الطلاب في مدارسهم. ويتم هذا التعاون بصورة مكثفة في المؤسسات والمصانع وأماكن العمل حيث تعمل السلطة على وضع القوانين وإصدار القرارات لجعل العمال والموظفين يتعاونون لتحقيق أهداف المنظمة التي يعملون فيها.

٤ـ التعاون الاتفاقي أو التعاقدي Contractual Cooperation

هذا النوع من التعاون لا يتم من خلال السلطة أو التقاليد أو التعاون التلقائي إنما يعتمد على التخطيط إذ أن الأفراد يتفقون بمحض إرادتهم على التعاون وبصورة رسمية بطرق خاصة ومحددة.

مثال يتفق الأفراد بحرية على أن يعملوا في مشروع أو عمل حكومي ويوضحوا عبارات التعاون فيما بينهم ، أو قد يتفق الجيران على العمل معا في مشروع خاص بمجتمعهم المحلي.

٣ـ المنافسة Competition

في عملية المنافسة كما في التعاون يتطلع شخصان أو أكثر أو جماعات إلى الوصول إلى هدف ما . ولكن في علاقة المنافسة فان كلا من الطرفين يحاول أن يحقق الهدف قبل الآخر . ولذلك فانه في عملية المنافسة لا يكون إلا فائز واحد .

والمنافسة ليست النقيض لعملية التعاون، ولكنها في الواقع تشمل بعض درجات التعاون، لأن على المتنافسين أن يتعاونوا معا في اللعب بمقتضى القوانين التي تحكم اللعب . فمثلا في لعبة المصارعة يتعاون المتنافسان على عدم ضرب بعضهما البعض في أماكن معينة من الجسم .

وقد تكون نتائج المنافسة إيجابية مما يؤدي للتقدم والرخاء (مسابقة حفظ القرآن ـ المخترع الصغير ـ أعلى إنتاجية لمحصول معين) . إلا أنه قد يكون لها نتائج مؤذية لأحد الطرفين مع أنها غير مقصودة، مثل تعرض أحد أطراف المنافسة إلى حالات صراع نفسي أو عقلي نتيجة فوزه أو عدم فوزه في المنافسة .

من جانب آخر فقد دلت الأبحاث على أن إنتاج الأفراد يكون أفضل في جو المنافسة خاصة إذا كان عملهم بسيطا ويستطيع أن يقوم به فرد واحد .

إلا أن الانجاز يكون أكثر فعالية وأفضل عندما تتعاون الأطراف معا خاصة في العمل المعقد الذي يتطلب مشاركة ومساهمة في نقل المعلومات .

٤ـ الصراع Conflict

في عملية المنافسة يحاول المتنافسون أن يحققوا الهدف نفسه تبعا لقوانين عامة مقبولة والمهم في هذه القوانين هو أنه على الأطراف المتنافسة أن تركز على الفوز وليس على إيذاء أو قتل الطرف الآخر .

وعندما لا تطبق الأطراف المتنافسة هذه القوانين فان التنافس ينقلب إلى صراع .

في عملية الصراع إذن يصبح قهر الطرف الآخر غاية يحاول الطرفان الوصول إليها . فمثلا نستطيع أن نرى التنافس في الألعاب بينما الصراع في الحروب .

يمكن أن يوجد الصراع في جميع أشكال النظم الاجتماعية . فقد يظهر الصراع بين الإدارة والعمال، أو بين المجرمين ورجال الشرطة، أو زملاء العمل يتصارعون على هدف معين (الوصول إلى رئاسة مجلس الإدارة لمنظمة معينة) .

والصراع قد يؤذي الآخرين كما قد يساعد النظام الاجتماعي على التماسك .

فالحرب مثلا بين الدول أو المواجهات العنيفة بين جماعات متعادية تكون في العادة ضارة . مع أن الحرب أيضا قد تؤدي إلى توحيد أفراد المجتمع . وهذه الظاهرة تحدث في معظم قطاعات المجتمع مثل الصراع بين الإدارة والعمال إذ يتحد كل طرف ليواجه الطرف الآخر . لأن أعضاء كل طرف يؤمن أن العدو الحقيقي هو عدو كل الأمة أو المجموعة ككل . مما يؤدي بهم إلى طرح الصراعات الجانبية الداخلية لحماية المجموعة أو الأمة وقد يؤدي الصراع أيضا إلى التغيرات المطلوبة .

مثل الصراع العربي الإسرائيلي أدى إلى التحضير لمؤتمر السلام الذي بدوره سيؤدي إلى تغييرات جذرية بالشرق الأوسط .

٥ـ التوفيق Compromise

هو تفاعل يحوي مزيجا من التعاون والصراع . وهو تسوية مؤقتة للخلافات بين الجانبين لإيقاف الصراع بينهما، ويساعد على تقريب وجهات النظر بين الأفراد ، والجماعات، والدول ولو إن كل جانب يحتفظ باتجاهاته المضادة للآخر ، ولكن يحاول تعديل سلوكه لكي لا يستمر الصراع .

مثال : أمريكا وروسيا أو ما يحدث في عائلات الصعيد .

* * *

أسئلة على الباب الخامس

١ـ فرق بين الأزواج الآتية :ـ

(أ) عمليتي التبادل والتعاون (ب) عمليتي التعاون التلقائي والتقليدي

(جـ) عمليتي التعاون الموجه والتعاقدي (د) عمليتي المنافسة والصراع

(هـ) عمليتي المنافسة والتوفيق (و) عمليتي التعاون التلقائي والتعاقدي

٢ـ أذكر أمثلة من عندك لكل من : ـ

التبادلـ التنافسـ التعاونـ التوفيقـ التعـاون التلقـائيـ التعـاون التقليـديـ التعـاون الموجهـ التعاون التعاقدي .

٣ـ تكلم بالتفصيل عن كل مما يأتي :ـ

(أ) العلميات الرابطة للنظام الاجتماعي .

(ب) العمليات الفاصمة للنظام الاجتماعي .

* * *

الباب السادس
التدرج الاجتماعي
Social Stratification

تمهيد:

بالرغم من شيوع الاعتقاد بأن الناس سواسية في كثير من العقائد السياسية المعاصرة فإن الواقع يشير إلى أن هناك اختلافات بين الناس. وقد يتساءل البعض عن سبب وجود هذه الاختلافات. وهذا التساؤل هو المحرك الأساسي لدراسة ما يطلق عليه علماء الاجتماع التدرج الاجتماعي. ويسود الاعتقاد بين علماء الاجتماع بأنه على عكس ما تقول به العقائد السياسية المعاصرة فإن اللامساواة هي الظاهرة الشائعة في الحياة الاجتماعية. وينتج عن هذه اللامساواة ترتيب الناس في بنيان معين يسمى بالتدرج الاجتماعي أو البنيان الطبقي. ويختلف علماء الاجتماعي حول تحديدهم الأساس الذي يقوم عليه التدرج الاجتماعي.

كيف يظهر التدرج الاجتماعي:

ويمكن القول بأن اللامساواة تؤدي إلى ثلاثة مراحل متتابعة تكون محصلتها النهائية هي التدرج الاجتماعي كما يلي:

١ـ التمايز Differentiation:

وهو أول مظهر من مظاهر اللامساواه. ويتمثل ذلك في إسناد واجبات وأعمال متخصصة لأوضاع اجتماعية معينة، وينتج عن ذلك نوع من تقسيم العمل داخل البنيان الاجتماعي. ونتيجة لهذا التقسيم تجد النجار والحداد والمدرس والشرطي والقاضي وخلافه، ويطلب المجتمع من شاغل كل من هذه المواضع الاجتماعية دورا محددا أو عملا خاصا. ويكون دوام المجتمع واستمراره رهن بأداء

هؤلاء الأفراد المتباينين لأدوارهم. وتشير الدراسات الاجتماعية إلى أن التمايز الاجتماعي يزداد بزيادة حجم البنيان الاجتماعي. ولا ينطوي التمايز على مقارنة الأوضاع الاجتماعية أو شاغلي الأوضاع ببعضهم البعض. أما إذا كانت هناك مقارنة فان الأمر يأخذ صورة الترتيب الاجتماعي.

٢ـ الترتيب الاجتماعي Social Ranking :

عندما تستمر اللامساواة وما ينتج عنها من تقسيم العمل يبدأ الناس في المقارنة بين الأوضاع المتمايزة. وينتج عن مقارنة الأوضاع الاجتماعية ببعضها ترتيبها ترتيبا تصاعديا حسب قيمتها الاجتماعية في ظل الثقافة السائدة. فالإنسان في كل مكان يميل في ظل الثقافة السائدة أن يعطي أوضاعا معينة قيمة أكبر من أوضاع أخرى. وبمعنى آخر فإن أوضاعا اجتماعية تعتبر أفضل من غيرها. إلا أن أساس المقارنة يختلف باختلاف المجتمعات. ويعتبر الترتيب الاجتماعي نتيجة حتمية لوجود التمايز الاجتماعي في المجتمع، وهو خطوة في اتجاه إعطاء التمايز الاجتماعي معنى محدد. ويؤدي الترتيب الاجتماعي إلى اعتبار الطبيب أفضل من الممرض، والممرض أفضل من العامل، وهكذا بالنسبة لبقية الأدوار. ويتأثر الناس في نظرتهم إلى أدوارهم وفي سعيهم للقيام بأدوار معينة بموقع تلك الأدوار في سلسلة الترتيب الاجتماعي.

٣ـ التدرج الاجتماعي Social Stratification :

ينتج عن الترتيب الاجتماعي ظهور علاقات اجتماعية معينة مبنية على الترتيب الاجتماعي. وتتمثل هذه العلاقات في مجموعة من الحقوق والواجبات

المرتبطة بكل رتبة. وهذه الحقوق والواجبات تختلف من ثقافة لأخرى. ويطلق على نمط العلاقات الناتجة عن الترتيب الاجتماعي اسم التدرج الاجتماعي.

وعلى هذا فيمكن النظر إلى التدرج الاجتماعي على أنه مواضع اجتماعية مرتبة تصاعديا بالإضافة إلى شبكة العلاقات الاجتماعية المصاحبة لها.

وهنا نجد مثلا أن الطبيب يأمر الممرض ويتوقع منه الطاعة وفي المقابل نجد الممرض يقبل الأوامر ويطيعها باعتبار ذلك أمر طبيعي. وعندما يحدث ذلك في جوانب الحياة المختلفة نقول إن الترتيب الاجتماعي قد أدى إلى ظهور التدرج الاجتماعي.

عوامل التدرج الاجتماعي:

لما كان التدرج الاجتماعي ظاهرة عامة لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات، كان لابد من التفكير في العامل أو العوامل التي تؤدي إلى ظهور هذا التدرج. والواقع أن هناك اختلافا كبيرا بين علماء الاجتماع في هذا الصدد. وذلك أن معايير تحديد رتبة المواقع الاجتماعية ليست واضحة تماما. ومن هنا كثرت الاجتهادات لاستخلاص العوامل الأساسية في هذا الشأن. ونعرض هنا أبرز الاجتهادات في هذا الشأن من الأقدم إلى الأحدث.

١ـ الاتجاه الكلاسيكي (القديم):ـ

كارل ماركس: يرى أن ترتيب المواضع الاجتماعية يستند إلى عامل وحيد هو ملكية وسائل الإنتاج. وبعبارة أخرى فإن مقدار الثروة التي يملكها ويسيطر عليها الشخص تحدد تحديدا كاملا وضعه في التدرج الاجتماعي. وعلى هذا الأساس فإن المجتمع ينقسم أساسا إلى طبقتين هم طبقة الملاك الرأسماليين وطبقة غير الملاك أو العمال.

٢ـ الاتجاه المعاصر:ـ

يسود الاعتقاد بين علماء الاجتماع حاليا أن هناك عدة عوامل تؤثر في التدرج الاجتماعي هي :

أ ـ الثروة Wealth

إن الطريقة الشائعة بين الناس لترتيب بعضهم البعض هو الثروة، ومع ذلك فإن مفهوم الثروة غير واضح . فقد تشير الثروة إلى الممتلكات الثابتة أو المدخرات . وتتحدد المرتبة الاجتماعية للفرد على مجموع ما لديه من تلك المكونات الثلاثة للثروة .

ولا يكون للثروة أثر ما لم تكن معلومة فتقدير الآخرين للشخص يتوقف على ثروته كما يراها الآخرون لا كما هى في الواقع .

ولهذا قد يعطي الناس بعض الأفراد رتب اجتماعية منخفضة (متدنية) نتيجة إخفائهم لحقيقة ثرواتهم . وكلنا يعلم وقائع اكتشاف ثروات معتبرة لبعض المتسولين (مرتبة متدنية) . كما أن هناك حالات لرجال أعمال (مرتبة مرتفعة) تفوق ديونهم قيمة ممتلكاتهم ولكن الناس يعطونهم مرتبة مرتفعة لأنهم لا يعلمون الحقيقة .

(ب) المهنة Occupation:

كثيرا ما يتوقف تقدير الآخرين للشخص على مهنته التي يعمل بها . فالمجتمع يظهر تقديرات مختلفة للمهن المختلفة في المجتمع . فالمجتمع مثلا لا ينظر إلى الطبيب نفس نظرته إلى المحامي أو المدرس أو السباك فكل من هذه المهن لها صورة عامة تمثل ترتيب المجتمع لها .

وبمجرد انتماء الشخص إلى مهنة معينة فإنه يكتسب درجة التقييم الخاصة بهذه المهنة . وتشير دراسات التدرج الاجتماعي إلى أن المهن المختلفة يمكن ترتيبها تنازليا في

صورة ما يسمى بالسلم الاجتماعي للمهن وتحتل المهن التي تحتاج إلى مجهود عقلي قمة السلم بينما تقع الأعمال التي تحتاج إلى مجهود عضلي في قاعدة السلم.

وتشير نتائج دراسات التدرج الاجتماعي إلى أن السلم الاجتماعي للمهن في المجتمعات المختلفة متشابه إلى درجة كبيرة بصورة توحي بوجود اتفاق عام بين كل المجتمعات على معايير ترتيب المهن في السلم الاجتماعي.

كما تؤكد الدراسات أن السلم الاجتماعي في المجتمع الواحد ثابت نسبيا ولا يتغير كثيرا بمرور الزمن.

(جـ) **التعليم** Education :

غالبا ما يتخذ التعليم الرسمي الذي حصل عليه الفرد أساسا لتقييم موضعه الاجتماعي. وأظهر مثال على ذلك إعطاء الفرد رتبة اجتماعية على أساس الشهادة التي حصل عليها أو عدد سنوات التعليم الرسمي التي أتمها بنجاح. فالحاصل على مؤهل عال يعتبر في مرتبة أعلا من الحاصل على مؤهل متوسط. أيضا الحاصل على الثانوية العامة لا يتساوى مع الحاصل على الثانوية الفنية. وعدم تساوي النظرة إلى الحاصل على مؤهل عال في الطب والهندسة والاجتماع والتربية. وعدم تساوي النظر إلى الحاصل على مؤهل عالي من كلية جامعية ومعهد عال. وعدم تساوي النظر إلى الحاصل على دراسات عليا من جامعة من الخمسين جامعة الكبار على مستوى العالم وأي جامعة أخرى وهكذا. وهذا يجعل التباين في المراتب الاجتماعية مفرط التعقيد أحيانا.

(د) المظهر Appearance :

كثيرا ما تتحدد نظرة أفراد المجتمع إلى الشخص على أساس مظهره. ذلك أن المظهر قد يكون هو العامل الوحيد المرئي للعامة. وهذا يجعل المظهر عاملا أكثر سهولة في تمييزه من العوامل الأخرى. فالثروة تتطلب معرفة مسبقة، والمهنة كذلك، والتعليم كثيرا ما يتطلب معرفة إضافية إلا إذا كان مرتبطا بالمهنة ارتباطا وثيقا. ولهذا فإن الأفراد لا يكلفون أنفسهم مشقة الحصول على المعلومات اللازمة لتحديد رتبة الشخص ويكتفون بالحكم عليه من مظهره ممثلا في هيئته وملابسه وطريقة تنقله وساعته ونظارته وخلافه. ويكثر الركون إلى المظهر كأساس للترتيب الاجتماعي في المجتمعات الحضرية حيث لا يعرف الأفراد عن بعضهم إلا القليل جدا من المعلومات.

اتساق واختلال المكانة:

نظرا لتعدد الأسس التي تستعمل في تحديد المرتبة الاجتماعية فإن السؤال الذي يفرض نفسه هو ما مدى تماثل الترتيبات المختلفة التي يحصل عليها الموضع الاجتماعي أو الفرد طبقا للأسس المختلفة؟ والحقيقة أننا كثيرا ما نجد أن الترتيبات لا تتماثل بمعنى أن يحصل الفرد على ترتيب متقدم في بعض الأبعاد في حين يحصل على ترتيبات متأخرة في أبعاد أخرى.

فمثلا أستاذ الجامعة الذي يحظى بترتيب مرتفع على أساس التعليم والمهنة قد يعوزه المال والمظهر البراق فيحصل على ترتيبات منخفضة. هذا في حين يحصل السباك على ترتيب مرتفع بالنسبة للثروة ولكن قد يكون حظه من التعليم ضئيلا

فيحصل على مرتبة منخفضة . فأي هذه الترتيبات يعطى للشخص الذي يشغل الوضع الاجتماعي؟

الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة . ذلك أنها تختلف تبعا لاهتمامات الفرد الذي يصدر حكما على شاغل المكانة المعينة . فمن ناحية فإننا عادة ما نجد أن الفرد نفسه يتصرف على أساس الترتيب الأعلى الذي يحظى به على بعد معين ويحاول تجاهل ترتيبه المنخفض على الأبعاد الأخرى . فأستاذ الجامعة يعتقد أن وضعه في التدرج مرموقا لأنه يشغل وظيفة محترمة وحائز على مرتبة علمية عالية . وبالمثل نجد السباك يعتقد أن موقعه في التدرج الاجتماعي عاليا لأن لديه ثروة .

ومن ناحية أخرى فانه عندما يتفاعل الأفراد مع بعضهم البعض فان كلا منهم يحاول إبراز الترتيب المنخفض للآخرين حتى يقنع نفسه بأنه في وضع حسن . فأستاذ الجامعة عندما يتفاعل مع السباك يحاول إبراز الفرق التعليمي . بينما السباك يحاول إبراز الجانب المادي .

وهذا الوضع الذي لا تتماثل فيه الترتيبات المختلفة للوضع الاجتماعي الواحد يسمى اختلال المكانة الاجتماعية Status inconsistency .

واختلال المكانة كثير الحدوث . وهو يوجد في المجتمعات التي تتميز بالتغير المستمر في توزيع عوامل التدرج الاجتماعي كالثروة والتعليم وخلافه . ويؤدي اختلال المكانة إلى نوع من الضغوط والشعور بالإحباط من جانب كثير من الأفراد لأنهم يشعرون أن الآخرين لا يتفقون معهم على تقييمهم لوضعهم الاجتماعي .

وهناك حالات يتفق فيها ترتيب الشخص الذي يشغل موضعا اجتماعيا معينا على الأبعاد المختلفة . وهنا يكون من السهل الاتفاق على الوضع النسبي لهذا

الشخص بينه وبين الآخرين. وهذه الحالة تسمى باتساق المكانة Status Consistency.

ويدل شيوع اتساق المكانات الاجتماعية على وجود وضع اجتماعي مستقر نسبيا في المجتمع. ذلك أن العلاقات القائمة على الترتيب الاجتماعي لا تكون محل شك من الأفراد المتفاعلين.

الطبقات الاجتماعية Social Classes

مما سبق يتضح أن ترتيب المجتمع للمواضع الاجتماعية يختلف، وأن الأسس التي يبنى عليها هذا الترتيب تتباين. وهذا يجعل التدرج الاجتماعي كيانا مفرط التعقيد صعب الفهم. وقد أدى ذلك بعلماء الاجتماع إلى تقسيم التدرج الاجتماعي إلى أقسام شبه متجانسة تسهيلا لفحصه ودراسته. ويطلق على هذه الأقسام اسم الطبقات الاجتماعية. والطبقة الاجتماعية عبارة عن مجموعة من المواضع الاجتماعية التي لها ترتيب اجتماعي متماثل. ولا نعني بالتماثل هذا التطابق التام وإنما أن الفروق بين الرتب بسيطة أو غير ذات تأثير.

والطبقات الاجتماعية ثابتة نسبيا ويرجع ثباتها إلى عدة عوامل أولها: أن الأساس الثقافي لترتيب المواضع الاجتماعية ثابت نسبيا وعلى ذلك فلا داعي لإعادة التقييم باستمرار. وثانيها: أن الوضع الطبقي للأفراد يعتمد على عوامل يمكن أن يورث بعضها مثل الثروة والقوة. وعلى هذا فالوضع النسبي للأسرة ينتقل من جيل إلى جيل. ثالثها: أن كل طبقة اجتماعية ترتبط بعقيدة أيديولوجية معينة. وعادة ما تكون العقيدة الأيديولوجية للطبقات العليا عبارة عن تبرير لوضعها المتميز ومحاولة

الإبقاء عليه وهذا يمثل عنصر تثبيت للبناء الطبقي ما لم تظهر عقيدة أيديولوجية مضادة لدى الطبقات الدنيا.

وليس هناك اتفاق على عدد الطبقات الاجتماعية الموجودة في المجتمع. والواقع أن المحللين والدارسين الاجتماعيين يذكرون أعدادا مختلفة من الطبقات. فينما يقول ماركس إن المجتمع يتكون من طبقتين فقط هما الطبقة البورجوازية التي تملك والطبقة البروليتارية التي لا تملك ، يذهب علماء الاجتماع الآخرون إلى أن أعداد الطبقات الاجتماعية أكثر من ذلك. ويشيع القول بأن المجتمع يتكون من ثلاث طبقات طبقة عليا وأخرى متوسطة وثالثة دنيا.

ويصح لنا الآن أن نتساءل عن مدلول الطبقات الاجتماعية هل هو مجرد أو ملموس؟ يقول كثير من المهتمين بدراسة التدرج الاجتماعي إن الأفراد يدركون بشكل ما طبيعة انتمائهم الطبقي الأمر الذي يؤكد أن الطبقات الاجتماعية كيان واقعي. إلا أن درجة إدراك الأفراد لوضعهم الطبقي يختلف باختلاف الظروف.

ويطلق على درجة إدراك الأفراد لوضعهم الطبقي ومعرفتهم ببني طبقتهم اصطلاح « الوعي الطبقي ».

وهناك كثيرا من الدلائل على أن الوعي الطبقي مرتفع بين أفراد الطبقات العليا بوجه عام وأن الوعي الطبقي عادة منخفض بين الطبقات الأخرى حيث يميل الأفراد بوجه عام إلى اعتبار أنفسهم من الطبقة المتوسطة أو أنهم ناس عاديين.

وقد اجتهد الباحثون وخلصوا إلى أن هناك شروطا لنمو الوعي الطبقي أهمها طبيعة الحدود الفاصلة بين الطبقات. ووجود عدو مشترك، ووجود تراث ثقافي مشترك.

فإذا كانت الحدود بين الطبقات واضحة وجامدة فإنها تساعد على نمو الوعي الطبقي، أما إذا كانت مرنة أو مستترة فإنها تعطل نمو الوعي الطبقي. وإذا كان هناك عدو يهدد مصالح أبناء الطبقة فإن شعورهم بالتهديد يجمع بينهم في مواجهة ذلك العدو. أما غياب التهديد للمصالح فإنه يساعد على تمييع الوعي الطبقي نظرا لعدم وجود هدف يستثيره. وكلما تجمع لدى أبناء الطبقة تراث ثقافي مشترك في صورة معايير سلوكية ومعتقدات فإنه يساند نمو الوعي الطبقي بينهم.

مثال الخصخصة في مصر هددت العاملين بالمؤسسات التي تعرضت للخصخصة فجمع بينهم هذا التهديد. وأصحاب العقارات القديمة بإيجاراتها المنخفضة.

تفسير التدرج الاجتماعي

أدى إدراك علماء الاجتماع لحقيقة أن التدرج الاجتماعي موجود في كل المجتمعات البشرية إلى محاولتهم إيجاد تفسير علمي لظهوره واستمراره. وهناك عدد من النظريات التي تفسر التدرج الاجتماعي منها ما يعتبر التدرج الاجتماعي ظاهرة اجتماعية لاغني عنها ولا يمكن تصور استمرار الحياة الاجتماعية بدونها. وهذه يطلق عليها اسم النظريات الوظيفية. ومن النظريات ما يعتبر التدرج الاجتماعي ظاهرة يمكن الاستغناء عنها وأنه لا يوجد ولا يستمر إلا لأن هناك طبقة تستفيد من وجوده ولهذا فإنها تفرض وجوده باستمرار في المجتمع لتحقيق مصالحها وفيما يلي نستعرض بإيجاز كل من التفسيرين.

١ـ التفسير الوظيفي

ينطلق التفسير الوظيفي للتدرج الاجتماعي من المسلمات العامة للمدرسة الوظيفية التي تقول إن كل جزء في المجتمع يؤدي وظيفة تساعد المجتمع على أن يقوم

بوظائفه . و على هذا فالتدرج الاجتماعي لا بد أن تكون له وظيفة وإلا ما ظهر واستمر . ومن أبرز التفسيرات الوظيفية للتدرج الاجتماعي تفسير العالمان الأمريكيان ديفيز ومور Davis and Moore والذي يسير على النحو التالي :

(أ) يتكون المجتمع من العديد من المواضع الاجتماعية التي ينبغي على شاغليها القيام بأدوار معينة تحقق جزءا من وظائف المجتمع . ومن الضروري للمجتمع أن يضع في كل موضع اجتماعي الشخص المناسب القادر على القيام بالدور المطلوب (تصور مثلا ماذا يحدث لو غاب عامل النظافة أو أهمل في عمله)

(ب) أن مجرد وضع الشخص في الموضع الاجتماعي لا يضمن قيامه بالدور المطلوب منه . ولهذا فمن الضروري للمجتمع أن يحدد حوافز تكفي لدفع الأفراد إلى القيام بالأدوار التي تتطلبها مواضعهم الاجتماعية . وبقدر ما يحقق الفرد من مستوى الأداء بقدر ما يحصل على حوافز .

(جـ) أن الأفراد لا يقبلون على شغل المواضع الاجتماعية بنفس القدر . ولكن هناك مواضع يقبلها الأفراد ويسعون إليها أكثر من غيرها . ولما كان شغل المواضع الاجتماعية أمر لازم كان على المجتمع أن يغري الأفراد على السعي إلى المواضع غير البراقة عن طريق تخصيص حوافز أكثر لمن يشغلونها تساعد على اجتذاب الأفراد إليها . (تصور مثلا كيف يكون الإقبال على الكليات العسكرية لو لم تخصص لخريجيها مميزات وحوافز أكبر) .

(د) أن المواضع الاجتماعية تختلف في مقدار ما تتطلبه في شاغليها من مهارات وقدرات . فمواضع مثل الشرطي والعامل الزراعي وعامل النظافة لا تحتاج إلى

مهارات كثيرة. وإنما يمكن لأي فرد تقريبا شغلها وأداء الأدوار المنوطة بها بعد تدريب لمدة قصيرة جدا.

أما موضع ميكانيكي السيارات مثلا فإنه يتطلب تدريبا أكبر لأن تعلم المهارات اللازمة لشغله يحتاج لمدة قد تصل إلى سنوات. وهناك مواضع أخرى مثل الطبيب تتطلب إعدادا لمدة زمنية طويلة، ومواضع مثل الوزير تتطلب إلى جانب التعليم اكتساب مهارات عملية خاصة. وعلى المجتمع في ظل هذا التفاوت في المهارات والقدرات أن يعوض الأفراد عن الوقت والجهد والمال الذي ينفقونه في اكتساب تلك المهارات. ولا يتأتى ذلك إلا بمراعاة ذلك عند تحديد الحوافز حتى يجد الأفراد مبررا لمكابدة مشاق الحصول على التدريب (تصور مثلا لو أن حوافز الطبيب مثل حوافز العامل الزراعي كم فردا يتقدمون إلى كلية الطب).

(هـ) أن المواضع الاجتماعية تختلف في درجة تأثيرها على المجتمع. فهناك مواضع اجتماعية ضعيفة التأثير في ذاتها وأي قصور في أدائها يمكن تداركه بسهولة وهذا حال كثير من المواضع الاجتماعية كالعامل الزراعي وعامل النظافة والبائع . . . إلخ. وفي المقابل هناك مواضع اجتماعية تكتسب أهمية خاصة لأن أي تقصير في أدائها قد يضر كثيرا بالمجتمع مثل القاضي ورجل الأمن ورجل الجيش والوزير ورجل المخابرات وغيرها. وهذه الأدوار ينبغي التدقيق في إعداد الأفراد وتجنيدهم لشغلها. وتستعمل الحوافز كوسيلة لتحقيق هذه الغاية.

(و) ويترتب على الأمور السابقة مجتمعة أن تكون الحوافز التي يخصصها المجتمع لشاغلي المواضع الاجتماعية متباينة القيمة. فبعض المواضع الاجتماعية يحصل شاغلوها على جزاءات وحوافز أكثر من غيرهم. وهذا الاختلاف في الجزاءات

والحوافز هو العامل الرئيسي في وجود التدرج الاجتماعي. ذلك أن الأفراد في سعيهم إلى المواضع الاجتماعية التي يتطلعون إليها سوف يتأثرون حتما بأوضاعهم النسبية من حيث الحوافز المخصصة لها. كما أنهم بعد شغلهم للمواضع التي يخصصها لهم المجتمع يكونون مهيئين لقبول الوضع النسبي لتلك المواضع في المجتمع.

(ز) ولا توجد وسيلة أخرى أمام المجتمع لتوزيع الأفراد على المواضع الاجتماعية وحثهم على القيام بأدوارهم على الوجه الأكمل سوى باستخدام أسلوب الحوافز. وبالتالي فإن الحوافز وما ينتج عنها من تدرج اجتماعي يؤدي وظيفة أساسية للمجتمع ولا يمكن أن تؤدي بدونه.

(حـ) أن الأفراد الذين يحصلون على حوافز أكبر تتكون لديهم فوائض يمكن أن يستثمروها في الحصول على حوافز إضافية أو يورثوها إلى أولادهم. وبذلك يتدعم التدرج الاجتماعي ويزداد رسوخا بمرور الوقت.

٢ـ التفسير النزاعي

ينطلق التفسير النزاعي للتدرج الاجتماعي من القول بأن المجتمع لديه العديد من الموارد التي ينبغي عليه توزيعها على أفراده. وأن هناك موارد وفيرة تكفي جميع الأفراد وزيادة. وهذه يمكن لكل فرد أن يحصل منها على ما يريد. وهذا لا يعنى أن الأفراد سوف يحصلون على مقادير متساوية ولكن كل سيأخذ بقدر ما يستطيع دون أن يتصدى له أحد.

وفي المقابل هناك موارد نادرة لا تكفي لأن يأخذ كل فرد ما يريده منها. وهنا ينشأ النزاع بين الأفراد للحصول على تلك الموارد النادرة. وخلال النزاع يستعمل كل ما

في حوزته من الوسائل للحصول على ما يستطيع . وعادة ما يتناسب ما يحصل عليه الفرد من الموارد النادرة مع القوة الاجتماعية التي يستخدمها . وعلى ذلك فإن الأفراد الأكثر قوة يحصلون على قدر أكبر من الموارد النادرة بالمقارنة بالأفراد الأقل قوة . وينطبق نفس الشئ على الوحدات الاجتماعية المختلفة كالأسر والقبائل والمنظمات وغيرها . وعلى هذا يمكن القول بأن القوة الاجتماعية هى التي تحسم النزاع على الموارد النادرة وهى التي تحدد نصيب كل فرد وكل جماعة من تلك الموارد .

وينشأ التدرج الاجتماعي باعتباره النتيجة النهائية للتوزيع غير المتساوي للموارد النادرة في المجتمع .

والتفسير النزاعي ينكر وجود مبررات وظيفية مقبولة لذلك الاختلاف في أنصبة الأفراد . وإنما يركز على أن القوة الاجتماعية وحدها هي التي تقرر التوزيع . وهكذا فإن التدرج الاجتماعي ينشأ ويستمر إلا أن الأقوياء يريدونه ويستفيدون منه ويستطيعون فرضه على الآخرين بالقوة . ولهذا فان الضعفاء ينكرون التدرج الاجتماعي ويعتبرونه نوع من الظلم الواقع عليهم ويسعون إلى تغييره باستمرار . وقد ينجحون في ذلك حينا ويفشلون أحيانا (تذكر مثلا إضراب العمال عن العمل للحصول على مزيد من الموارد في صورة زيادة الأجور) .

الحراك الاجتماعي Social mobility

يشير مفهوم الحراك الاجتماعي إلى تحرك الأفراد صعودا أو هبوطا في البنيان الاجتماعي . وتختلف المجتمعات في درجة إتاحة الفرصة للأفراد لتغيير وضعهم الطبقي ، أو بعبارة أخرى تعديل وضعهم على الترتيب الاجتماعي وهناك نوعين من البناء الطبقي بالنسبة لهذا العامل هما : البناء الطبقي المغلق والبناء الطبقي المفتوح .

١ـ البناء الطبقي المغلق:

وفيه يظل ترتيب الأوضاع الاجتماعية ثابتا بمرور الزمن ويرث الأفراد من خلال انتمائهم الأسري الوضع النسبي الذي يتمتعون به كأفراد. وتعمل الثقافة القائمة على حفظ هذا الوضع. وهنا نجد تحرك الأفراد من طبقة لأخرى منعدما. ومن أمثلة ذلك النظام الطبقي في الهند. وهذا النوع من البناءات الطبقية أصبح غير شائع الوجود في المجتمعات المعاصرة.

٢ـ البناء الطبقي المفتوح:

وفيه يعطي الأفراد فرصة اجتياز حدود الطبقة التي ينتمون إليها والانتقال إلى طبقة أخرى. وهنا نجد أن الثقافة السائدة تشجع الأفراد على هذا التحرك الذي عادة ما يبنى على الإنجاز الشخصي دون قيود موروثة. وهذا يعتبر انفتاح البناء الطبقي أمرا نسبيا. ولا يوجد بناء طبقي مفتوح تماما ولكن توجد درجات مختلفة من الانفتاح.

هذا ويطلق على تحرك الأفراد من طبقة اجتماعية إلى أخرى اصطلاح الحراك الاجتماعي. والحراك الاجتماعي إذن أمر جائز ومرغوب في البناء الطبقي المفتوح إلا أنه ممنوع في البناء الطبقي المغلق.

ويقسم الحراك الاجتماعي تبعا لظروف حدوثه إلى حراك داخل الجيل الواحد وحراك بين الأجيال. فعندما ينتمي شخص إلى طبقة معينة ثم ينتقل إلى طبقة أخرى في فترة لاحقة من حياته يقال إن هذا الشخص حدث له حراك اجتماعي داخل نفس الجيل. أي أنه بمقارنته بأبناء جيله يمكن إدراك الحراك الذي حدث له. وليس كل الحراك الاجتماعي بهذا الطابع ولكن قد يحدث أن ينتمي شخص إلى طبقة معينة ثم ينتمي ولده إلى طبقة أخرى. هنا يقال إن الأسرة حدث بها حراك اجتماعي ولكن

عن طريق انتماء الأبناء إلى طبقة غير طبقة الآباء ويسمى حراك اجتماعي بين الأجيال. وقد يحدث ذلك نتيجة لاختلاف نصيب الأبناء من عوامل التفاوت الاجتماعي عن نصيب الآباء. ويعتبر التعليم من أكثر عوامل التدرج الاجتماعي تداولا وإسهاما في تحقيق الحراك الاجتماعي.

وقد أدي إدراك هذه الحقيقة إلى إثارة وجهات نظر متباينة حول فلسفة التعليم تبعا للنظرة إلى الحراك المتوقع كنتيجة له. فبينما نجد من يقول «لا تعلموا أبناء السفهاء العلم» أو «الشعب الجاهل أسهل قيادا من الشعب المتعلم» تعبيرا عن كراهيته لأثر التعليم على الحراك الاجتماعي. نجد على الجانب الآخر من يقول « أطلبوا العلم ولو في الصين » أو « العلم نور» أو « بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم » تعبيرا عن البحث عن التعليم كوسيلة للحراك الاجتماعي.

بالإضافة إلى ذلك فان الحراك الاجتماعي يختلف باختلاف اتجاه الحركة. فالحركة قد تكون إلى أعلى بمعنى أن ينتقل الفرد أو الأسرة من طبقة أدنى إلى طبقة أعلى ويسمى هذا حراك اجتماعي صاعد. ورغم أن الحراك الصاعد هو الغالب إلا أنه أحيانا ما يحدث أن ينتقل فرد أو أسرة من طبقة أعلى إلى طبقة أدنى ويسمى هذا حراك اجتماعي نازل (هابط).

أسئلة على الباب السادس

١ـ بين كيف تؤدي اللامساواة إلى التدرج الاجتماعي؟

٢ـ زميل لك وجد فرصة عمل مغرية في دولة أوربية، ولجأ إليك لتساعده في اتخاذ قرار بقبولها أو رفضها. هل تنصحه باغتنام الفرصة وترك الدراسة بالجامعة؟ أم تنصحه بالاعتذار والتركيز على الدراسة؟ ولماذا؟

٣ـ لك أخت على خلق وجمال تدرس بالجامعة وتقدم لخطبتها ميكانيكي سيارات لا يجيد القراءة وله دخل كبير؟ فهل تنصحها بالقبول أم الرفض؟ ولماذا؟

٤ـ يقولون عند وصف الأثرياء « شبعه بعد جوعه» فماذا يقصدون بذلك؟ وإلى أي حد تتفق معهم؟

٥ـ يقول المثل « القوالب نامت والأنصاص قامت» ما مدلول هذا المثل في ضوء دراستك للتدرج الاجتماعي.

٦ـ اشرح عوامل التدرج الاجتماعي كما يراها علماء الاجتماع المعاصرين؟

٧ـ فرق بين كل من الأزواج الآتية:

(أ) اختلال المكانة واتساق المكانة.

(ب) الحراك داخل الجيل الواحد والحراك بين الأجيال.

٨ـ فرق في جدول بين التفسير الوظيفي والتفسير النزاعي للتدرج الاجتماعي.

٩ـ علل: الثبات النسبي للطبقات الاجتماعية؟

١٠ـ إلى أي الطبقات الاجتماعية في المجتمع تنتمي؟ ولماذا؟

الباب السابع
التنشئة الاجتماعية
Socialization

تمهيد

سبق أن ذكرنا أن البنيان الاجتماعي يتمثل في مجموعة من العلاقات الاجتماعية التي تتكون من سلوك نمطي يمكن التنبؤ به، كما ذكرنا أن تعريف الدور الاجتماعي هو الوسيلة لتحديد السلوك المتوقع من الأفراد في مواقعهم الاجتماعية، ولنا الآن أن نتساءل عن كيفية نشوء السلوك النمطي وتعريف الدور الاجتماعي عند الفرد، وقد يقول قائل إن هذا أمر غريزي ينشأ مع الفرد ككائن عضوي كما هو الحال في مجتمعات النمل وغيرها. ولكن خبرات علم الاجتماع توضح أن الفرد البشري إذا ما نشأ في معزل عن البشر فإنه لا يدرك معنى البناء الاجتماعي أو الدور الاجتماعي. وهذا يشير إلى أن الفرد يتعلم هذه الأمور من خلال نشأته في المجتمع، ويطلق العلماء على العملية التي يكتسب الفرد خلالها هذه المعاني عملية التنشئة الاجتماعية.

تعريف التنشئة الاجتماعية:

يمكن تعريف التنشئة الاجتماعية بأنها العملية التي يكتسب فيها الفرد بصورة اختيارية المهارات والمعارف والاتجاهات والحوافز الموجودة في الجماعة التي هو عضو فيها. وعلى هذا فإنها تشمل تلك العمليات التي يتعلم بها الفرد كيف يفهم البناء الاجتماعي ويتكيف له بشتى الصور. ويقول بعض علماء الاجتماع أن التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يحول بها المجتمع الطفل من كائن عضوي إلى كائن اجتماعي يأخذ مكانه في الحياة الاجتماعية.

وأيا كانت النظرة إلى عملية التنشئة الاجتماعية فإن المتفق عليه أنها تشمل نقل ثقافة المجتمع- أو الجماعة- إلى الأفراد الجدد. وقد حدا ذلك بالبعض إلى القول بأن البنيان الاجتماعي يدوم ويستمر رغم التغير المستمر في أعضائه نتيجة التنشئة الاجتماعية.

البنيان الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية:

يعتبر التفاعل الاجتماعي أساس عملية التنشئة الاجتماعية. ورغم أن التفاعل الاجتماعي يستمر طول الحياة الاجتماعية إلا أنه أكثر أهمية في بداية حياة الفرد. فلابد أن يكون هناك تفاعل قوي وطويل بين الطفل والآخرين. وهذا التفاعل يجب ألا يقتصر على الرعاية البيولوجية وانما يمتد ليشمل النواحي العاطفية والذهنية. وخلال هذا التفاعل الاجتماعي يكتسب الإنسان الفرد الكثير من المعارف التي تساعد على إدراكه للبناء الاجتماعي وصيانته له. وعلى هذا يمكن القول بأن التفاعل الاجتماعي هو وسيلة التنشئة الاجتماعية، وأن البناء الاجتماعي هو محركها والمستفيد منها. ومن أهم ما يكتسبه الفرد خلال التنشئة الاجتماعية تعلم الثقافة وإدراك الذات.

وظائف التنشئة الاجتماعية:

١- تعلم الثقافة:

فالثقافة كما سبق القول في باب سابق تحدد أنماط السلوك المقبول والمتوقع. ولذا فان الفرد يحتاج إلى أن يتعلم الثقافة القائمة لكي يعرف السلوك المتوقع منه في موقعه الاجتماعي.

وعملية التنشئة الاجتماعية هي الوسيلة التي ينقل بها المجتمع إلي الفرد معايير السلوك التي تحدد له السلوك المطلوب منه والذي ينبغي له أن يفعله والسلوك غير المقبول منه والذي يجب عليه تجنبه.

وعلى هذا فإن الفرد إذا تغير وضعه الاجتماعي يحتاج بالضرورة إلى تنشئة اجتماعية إضافية. فالسلوك الاجتماعي الذي كان متوقعا منه في الوضع السابق قد لا يكون مقبولا في وضعه الجديد. ولهذا فإنه لا بد أن يتعلم السلوك المتوقع منه في موقعه الجديد.

فالطالب مثلا يتعلم أن عليه الحضور ومتابعة الدروس واستذكارها. . . الخ، وعندما يتم تعليمه ويخرج إلى الحياة العملية يكون مطلوبا منه أنواع أخرى من السلوك ربما ليس من بينها حضور الدرس والاستذكار، ولهذا فانه عندما يفد إلى المصلحة التي يعمل بها لابد أن تقوم بتعليمه ما هو مطلوب منه في الموقع الجديد.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الفرد لا يشغل موضعا اجتماعيا واحدا ولكن تتعدد مواضعه وتتعدد الجماعات التي ينتمي إليها. ولذا فإنه يحتاج إلى أن يتعلم ثقافة كل جماعة جديدة ينضم إليها. وعلى ذلك فالتنشئة الاجتماعية تتشعب بتعدد الأدوار التي يقوم بها الفرد.

ولهذا تعتبر كثير من الجماعات والمنظمات أن أول ما يجب أن تفعله للأعضاء الجدد هو تعريفهم بثقافة الجماعة وتعريفهم بدورهم فيها. ويتم ذلك عادة من خلال برامج تدريب مختلفة تعتبر جزءا من التنشئة الاجتماعية. فالطفل مثلا يبدأ حياته كفرد في أسرته. وتتولى الأسرة تعليمه أنواع السلوك المقبولة في نطاق الأسرة في الحديث والحركة والأكل والشرب والملبس وغيرها، وعندما يذهب إلى المدرسة

يكون مطلوبا منه أنواع أخرى من السلوك مثل الحضور في الموعد والزي المدرسي إن وجد والجلوس بطريقة معينة ولمدة محددة . . . الخ . وتتولى المدرسة تعليمه تلك الأمور وعندما يذهب إلى النادي الرياضي يكون عليه أن يسلك طريقة معينة تفرضها ثقافة النادي . . . وهكذا .

٢ـ إدراك الذات:

وأما إدراك الذات فإنه يتضمن أن يكون الفرد تصورا عن نفسه . وهذا يحدث أيضا من خلال عملية التنشئة الاجتماعية . فالطفل يكون صورة عن نفسه عن طريق تفسير الطرق التي يعامله بها الآخرون ويستجيبون له . فإذا ما عُومل الطفل على أساس أنه محبوب فإنه سوف يشعر بأنه فرد محبوب .

وتتعدد التصورات التي يكونها الفرد عن نفسه بتعدد الجماعات التي ينتمي إليها . ويكون الفرد تصورا عاما عن ذاته من محصلة تصوراته عن نفسه كفرد ينتمي إلى عدد من الجماعات الاجتماعية ويشغل مواضع اجتماعية مختلفة .

فالتنشئة الاجتماعية بهذا المعني تخلق من الطفل الخام إنسانا صالحا للحياة الاجتماعية . إلا أنها لا تتوقف عند هذا الحد ولكنها تتكرر كلما دخل الفرد جماعة جديدة في أي مرحلة من مراحل حياته . ذلك أن الإنسان يسعى دائما إلى أن يؤكد تصوره عن نفسه أو تصوره عن ذاته ، وتساعد عملية التنشئة الاجتماعية في تحقيق هذا التأكيد أو تعمل على تعديله . فالطفل قد يكون محبوبا في أسرته ، وعندما يذهب إلى المدرسة يحاول تبين ما إذا كان محبوبا بنفس القدر . وخلال تفاعله مع المدرسين والتلاميذ يتعلم كيف يستجيبون له ويستنتج ما إذا كان محبوبا من عدمه .

وعملية التنشئة الاجتماعية ليست مضمونة النتائج . حيث أن الشواهد تشير إلى أن نتائج التنشئة الاجتماعية تتفاوت في درجة نجاحها، وعلى ذلك فالتنشئة الاجتماعية نادرا ما تتم بصورة متكاملة . الأمر الذي يوحي بأن هذه التفسيرات ليست كافية لفهمها . ويقول رونج wrong أن تفسير التنشئة الاجتماعية ينطوي على تصور غير كامل للإنسان . ذلك أنها تهمل الدوافع والغرائز التي تقاوم عملية التنشئة الاجتماعية وتجعل منها عملية غير سهلة وغير مضمونة النتائج . فالبناء البيولوجي للإنسان يحمل في طياته مقاومة طبيعية للطاعة المطلقة التي تتطلبها عملية التنشئة الاجتماعية كما يصورها علماء الاجتماع . ولهذا ينبغي أخذ هذا البنيان البيولوجي البشري في الاعتبار عند تفسير التنشئة الاجتماعية وما يحدث فيها من فجوات (خد مثلا الطفل كثير الحركة والذي لا يستجيب للأمر الذي يصدر له بالهدوء) .

والتنشئة الاجتماعية كما أسلفنا . عملية مستمرة باستمرار حياة الأفراد الاجتماعية . والتنشئة الاجتماعية التي تحدث في فترة الطفولة تسمى التنشئة الأولية . أما التنشئة التي تحدث في المراحل التالية فإنها تسمى بالتنشئة الثانوية .

وخلال التنشئة الأولية يتعلم الطفل عدة أمور منها :

(أ) الاتصال بالآخرين عن طريق استعمال رموز لها معاني مشتركة تتمثل في اللغة . أي أنه يتعلم رموز اللغة أولا ثم يستعملها في نقل وتلقي المعاني خلال عملية التفاعل الاجتماعي . (تذكر أم تجلس مع طفلها الذي بدأ يتعلم نطق بعض الكلمات وتردد له قل بابا قل ماما ولا تمل ذلك لفترات طويلة حتى يجيدها) .

(ب) إدراك اتجاهات الآخرين نحوه واكتساب وعي بذاته. وذلك من خلال تكرار تفاعله معهم.

(جـ) التوقعات السلوكية المطلوبة منه.

أما خلال التنشئة الثانوية فإن الفرد يتعلم أدواره الاجتماعية الجديدة والمتعددة في الحياة الاجتماعية. فالفرد يلعب أدوارا كثيرة وينتقل من دور إلى آخر خلال حياته. ولذا يلزمه أن يتعلم السلوك المتوقع منه في كل دور جديد. وعلى هذا فإن التنشئة الاجتماعية الثانوية تتمثل أساسا في تعلم الأدوار الاجتماعية الجديدة نتيجة لدخول الفرد في علاقات وجماعات جديدة.

نظريات التنشئة الاجتماعية:

تناولت عدة نظريات تفسير التنشئة الاجتماعية ومنها

١ـ نظرية الدور الاجتماعي:

الدور الاجتماعي هو السلوك المصاحب لمكانة معينة (موضع – مركز) فشغل مكانة معينة وسيلة لا غاية.

فالمدرس له مكانة معينة (موضعـ مركز)، ويقوم بأدوار معينة في علاقته بطلابه، والمدرسين، ومدير المدرسة، والأنشطة الطلابية. والزوج له أدوار اجتماعية في علاقته بزوجته، وأولاده، . . . . الخ

فالدور الاجتماعي لكل موضع اجتماعي يحدد الحقوق والواجبات المرتبطة بهذا الموضع، ويساعد على تنظيم توقعات الآخرين من الفرد الذي يحتل هذا الموضع، كما يساعد الفرد نفسه على تحديد توقعاته من الأفراد الذين يتعاملون بحكم موضعه.

والسلوك المصاحب للمواضع الاجتماعية يتعلمها الفرد ويكتسبها بواسطة عملية التنشئة الاجتماعية.

٢ـ نظرية التفاعل الرمزي:

تعتبر مدرسة التفاعل الرمزي في علم الاجتماع أكثر المدارس اهتماما بتفسير التنشئة الاجتماعية. ومن أوائل العلماء الذين اهتموا بتفسير التنشئة الاجتماعية على أساس التفاعل الرمزي العالم كولي cooley الذي يقول إن الفرد يسعي دائما إلى جذب الانتباه إليه في محاولة مستمرة لاستجلاب الثناء من الآخرين المحيطين به. وتكون محاولات جذب الانتباه أكثر بساطة ووضوحا في الأطفال عنها في الكبار. ويتكون تصور الفرد عن نفسه من خلال فهمه لرد فعل الآخرين نحوه. وهذا يعني أن يعرف نفسه من خلال مرآة هي الأفراد الآخرين الذين يتعامل معهم. وعلى هذا فالآخرون هم المرآة التي تستعمل انعكاساتها في تكوين وتغيير تصور الفرد لنفسه. ويتم ذلك على ثلاث مراحل هى:

١ـ تصور نظرة الآخرين إلى الفرد، كأن تتكون لدى الطفل مثلا من خلال تعامله مع أبيه أن أباه يحبه، ويدرك من تعامله مع الخادمة أنها تكرهه.

٢ـ إدراكه لتصور الآخرين(يعلن الفرد تصوره عن وجهة نظر الآخرين فيه) فيقول أبي يحبني أو الخادمة تكرهني، أو أنا ولد شقي، أو أنا شاطر، أو أنا ذكي ثم ينتظر ماذا يجيب الآخرون فإن وافقوه على تصوره فإنه يتأكد من صحة إدراكه لنفسه وإلا فإنه يحاول مراجعة تصوره من جديد حتى يجد تصورا يقبله الآخرون.

٣ـ عند ذلك يصدر الطفل حكما على نفسه بالتقدير أو الاحتقار.

ويضيف كولي أن المراحل المذكورة تتتابع عند الفرد بصورة لاشعورية . وأطلق على تصور الذات الذي يتكون بهذه الطريقة اسم الذات المنعكسة .

وتعني الذات المنعكسة أن تصور الفرد لذاته هو محصلة تصوره للكيفية التي يراه بها الآخرون . . وهكذا فإن الذات المنعكسة قد لا تكون دائما دقيقة لأن الفرد قد لا يدرك تصور الآخرين له إدراكا صحيحا . ولكن بزيادة تفاعل الفرد مع الآخرين تزداد دقة إدراكه لتصور الآخرين له وبالتالي تزداد دقة تصوره لذاته .

والجماعات التي يأخذها الفرد أساسا لتكوين صورته عن نفسه فإنها تسمى بالجماعات المرجعية Reference groups . والجماعة المرجعية عبارة عن بنيان اجتماعي يتخذه الفرد كأساس لتقييم نفسه واكتساب اتجاهات ومعايير وقيم ومعتقدات جديدة . ولا يتطلب اعتبار الجماعة مرجعية أن يكون الفرد عضوا فيها ولكن يكفي أن يتقمص الفرد شخصية الجماعة بدرجة تؤثر في سلوكه . فقد يتخذ الفرد ناديا رياضيا معينا كجماعة مرجعية ويتتبع أخباره أملا في أن يصبح عضوا فيه يوما ما . وقد تكون جماعة الجيرة هي جماعته المرجعية حتى يحتفظ بعضويته وموقعه فيها .

ويرى ميد Mead أن الإنسان ككائن عضوي لا يصبح شخصا إلا إذا تعرض لتوقعات الآخرين الذين يوجهون سلوكه . ولا يستجيب الفرد لتلك التوقعات إلا إذا كان الآخرون يكافئونه على السلوك الذي يتفق مع توقعاتهم ويعاقبونه على السلوك الذي يخالف هذه التوقعات . وبمرور الوقت فإن الشخص يستطيع أن يعرف مقدما هذه التوقعات والجزاءات التي تنتظره في حالة الامتثال لها أو الخروج عليها . وعندما يصل إلى هذه الدرجة يقال إنه يستطيع أن يضع نفسه مكان الآخرين ويتخيل

دورهم بصورة تجعله قادرا على تحديد سلوكه . وعندما يعي الفرد توقعات الآخرين ويقتنع بها فإنه يتخذها كأساس لتكوين تصوره عن نفسه .

مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

يقوم بالتنشئة الاجتماعية عدد من المؤسسات الاجتماعية والجماعات التي ينتمي إليها الفرد ومنها :ـ

١ـ الأسرة:

تعتبر الأسرة الوعاء الثقافي الأول الذي يشكل حياة الفرد بما فيها من علاقات وأنماط ثقافية كأساليب الزواج، والعلاقات الزوجية، ومكانة الرجل والمرأة، وعلاقة الآباء بالأبناء، ووسائل الكسب، والمسئولية الاجتماعية وغيرها .

٢ـ المدرسة:

تواصل المدرسة دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية . فهي مؤسسة ينشئها المجتمع للمحافظة على ثقافته، ونقل هذه الثقافة من جيل إلى آخر . وتوفر للفرد الظروف المناسبة لنموه جسميا ونفسيا وانفعاليا واجتماعيا بما يتفق مع توقعات المجتمع .

٣ـ جماعة الأصدقاء (الرفاق):

تؤثر جماعة الأصدقاء في قيم الفرد وعاداته واتجاهاته . وهم جماعة من الأفراد يتصل بهم ويقاربونه في العمر والميول .

٤ـ وسائل الإعلام :

كافة وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمطبوعة تلعب دورا هاما في تكوين شخصية الفرد واتجاهاته وقيمه ومعارفه المتنوعة .

٥ـ دور العبادة:

تتميز دور العبادة بخصائص فريدة فهي محاطة بالتقديس ، وتتميز المعايير السلوكية التي تعلمها للفرد بالايجابية . فهي تعلمه التعاليم الدينية التي تحكم سلوكه، وتنمي لديه الضمير، . . . . الخ .

٦ـ مجال العمل:

يقوم الفرد بأهم أدواره الاجتماعية في مجال العمل . ومن الأساليب التي تتبعها المؤسسات الاجتماعية في عملية التنشئة الاجتماعية : حضور الدورات المختلفة لاكتساب خبرات ومهارات جديدة، التوجيه عن طريق الرؤساء المباشرين، الثواب والعقاب المادي والمعنوي .

السلوك الانحرافي : Deviant behavior

الواقع أنه لا يوجد أي بنيان اجتماعي يستطيع أن يقوم بتنشئة اجتماعية كاملة لأفراده . لأنه لو وجد مثل هذا البنيان لكان كل سلوك جميع أعضائه مطابقا تماما لما تقضي به المعايير . ولكان كل فرد صورة طبق الأصل من الأفراد الآخرين . وهذا الأمر غير موجود في الحياة الاجتماعية، فالأفراد عادة ما يختلف سلوكهم بدرجة ما عن المعايير الاجتماعية وعن سلوك الآخرين .

هذا وقد جرت العادة على أن يطلق على السلوك الاجتماعي غير المطابق للمعايير اصطلاح السلوك الانحرافي . فوجود السلوك الانحرافي إذن هو نتيجة طبيعية لأن عملية التنشئة الاجتماعية بطبيعتها غير مضمونة النتائج وغير كاملة الأركان في كل الأحوال .

ما هو السلوك الإنحرافي:

السلوك الانحرافي هو ذلك السلوك الذي لا يتمشى مع التوقعات الاجتماعية، ويميل البعض إلى النظر إلى السلوك الانحرافي على أنه شاذ وغير مرغوب فيه. إلا أن هذه النظرة ليست سليمة. ذلك لأنه ليس كل سلوك انحرافي خاطئا. وكثير من أنماط السلوك التي كانت تعتبر يوما ما منحرفة أصبحت مرغوبة فيما بعد. وعلى هذا فلا يهمنا هنا الحكم على نوعية هذا السلوك ولكننا نهتم فقط بدراسة تفسيره دون الحكم عليه . والواقع أن هناك أنواعا متباينة من السلوك الانحرافي تختلف في طبيعتها ونتائجها عن بعضها البعض لدرجة يصبح معها من الضروري تحديد الفروق بينها.

أنواع السلوك الانحرافي:

يتعلم الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية الأهداف التي ينبغي له أن يسعى إليها والوسائل التي ينبغي له استعمالها لبلوغ تلك الغايات. من ذلك مثلا أن يتعلم الفرد أنه يجب أن يسعى للحصول على أعلى شهادة دراسية وأن طريقه إلى ذلك الاستذكار والاجتهاد.

ويرى ميرتون Merton أن الانحراف يحدث عندما يوجد تضارب بين الغايات الاجتماعية والوسائل المؤدية إليها. والفرد الذي يتعرض لمثل هذا التضارب يتحقق من أن السلوك طبقا للمعايير لا يؤدي إلي تحقيق الغايات المرغوبة. وعليه فإنه لا بد أن ينحرف.

فالطالب الذي يجتهد ويستذكر جيدا ثم لا ينجح أو لا يحصل على الدرجات المطلوبة ينمو لديه إحساس بأنه مهما اجتهد فليست هناك فائدة ترجى. وموقف التناقض هذا بداية الطريق إلى الانحراف. والانحراف يأخذ أربعة أشكال هي:

١ـ الابتكار Innovation

ويعني الابتكار إبقاء الفرد على الغايات الاجتماعية المرغوبة ولكنه يسعي إلى تحقيقها بوسائل جديدة أو عن طريق سلوك غير معتاد. فالابتكار ما هو إلا سلوك جديد يؤدي إلى الغايات المنشودة بصورة أكفأ من السلوك النمطي المعتاد.

والابتكار انحراف مرغوب اجتماعيا لأنه يشكل حلا يمكن تطبيقه في الظروف المشابهة للأفراد. فالطالب الذي قصر به اجتهاده عن تحقيق النجاح قد يجد في الدروس الخصوصية وسيلة لتحقيق النجاح. فإذا كان النجاح مطلوبا فهو قد حققه بطريقة أخرى.

وقد يلجأ طالب آخر إلى الغش في الامتحان لتحقيق الغاية المطلوبة. أليس المجتمع (والأسرة) يطلب منه النجاح بمستوى معين؟ إذن هذا هو النجاح المطلوب كما تقول النتيجة، ولكن بوسيلة أخرى جديدة.

وقد يرى المجتمع في بعض الابتكارات وسيلة مقبولة فيتلقفها الأفراد وتنتشر ثم يتم اعتمادها بعد فترة كوسيلة مشروعة لبلوغ الغاية (الدروس الخصوصية مثلا). وفي المقابل قد يرى المجتمع أن الابتكار وسيلة غير مقبولة فيحاربها ويحاول القضاء عليها (ومثل ذلك الغش في الامتحان والزواج العرفي بين الطلبة والطالبات).

٢ـ الجمود Ritualism

ويعني الجمود التمسك بأنماط معينة من السلوك بغض النظر عما إذا كانت توصل إلى الغاية المنشودة من عدمه. فالمهم هو أن يكون السلوك نمطيا حسب ما تقضي به المعايير. وينسى الفرد حقيقة أن السلوك وسيلة لبلوغ غاية معينة ويتخذ من تلك الوسيلة غاية في ذاتها.

ومن الأمثلة الصارخة على ذلك صورة عبد الروتين الذي يسعى دائما إلى تطبيق اللوائح مهما كان الثمن ودون النظر إلى ما إذا كانت تحقق هدفا أم لا. وهنا يصبح السلوك الذي هو أصلا وسيلة غاية في ذاته. وإنما يعتبر الجمود انحرافا رغم أنه يتضمن التمسك بالسلوك المعتاد لأنه يجعل الفرد يتغاضى عن الغاية من سلوكه ويقبل أن يلتزم سلوكا لم تعد له وظيفة يؤديها.

٣ـ التراجع أو الانسحاب Retreatism

والانسحاب معناه التخلي عن كل من الوسائل والغايات المرغوبة اجتماعيا. ذلك أن كلا من الأهداف والوسائل تفقد معناها من وجهة نظر الفرد. فالطالب الذي يجتهد ثم لا ينجح في الامتحان قد ينسحب من الدراسة تماما متخليا عن كل من الغاية (الحصول على شهادة) والوسيلة (المذاكرة) في نفس الوقت. وكثيرا ما يتضمن الانسحاب اعتزال الفرد التيار المعتاد في الحياة الاجتماعية وينخرط في أنشطة تدعم هروبه وانسحابه مثل تعاطي المخدرات، ولكن لا ينكر على الآخرين استمرارهم في مساعيهم التي انسحب منها.

٤ـ العصيان Rebellion

والعصيان يشبه الانسحاب في أنه يؤدي إلى التخلي عن كل من الوسائل والغايات المرغوبة ولكنه يختلف عنه في أنه يؤدي بالفرد إلى محاولة تغيير الحياة الاجتماعية بصورة تؤدي إلى تغيير المعايير السائدة.

فالعصيان إذن رفض إيجابي للحياة الاجتماعية بينما الانسحاب رفض سلبي. ذلك أن العصيان يجعل الفرد ينكر على الآخرين مساعيهم في ظل الغايات والوسائل التي تخلي عنها. ولا يكتفي بذلك بل يحاول منعهم من الاستمرار في مساعيهم. ومن

أمثلة العصيان ما تقوم به الجماعات المناوئة وجماعات المعارضة المسلحة في كثير من المجتمعات.

تفسير الانحراف الاجتماعي:

يتساءل علماء الاجتماع عن السبب في حدوث السلوك المنحرف بالرغم من كل الضغوط التي تحاول جعل الأفراد يسلكون بشكل يتفق مع المعايير. ويكاد يتفق علماء الاجتماع على أن السلوك الانحرافي ما هو إلا فعل اجتماعي ناتج عن التنظيم الاجتماعي السائد. أي أن هناك بعض العوامل الاجتماعية التي تؤدي إلى ظهور السلوك الانحرافي. إلا أن طبيعة العوامل الاجتماعية التي تؤدي إلى الانحراف أمر غير متفق عليه وهناك ثلاثة تفسيرات سائدة للانحراف الاجتماعي هي:

١ـ نظرية الضياع أو الأنوميا Anomie theory

والضياع عبارة عن حالة من السخط ناتجة عن الإحساس بفجوة بين تطلعات الشخص وبين الوسائل الشرعية المتاحة لبلوغ هذه التطلعات. ويظهر الضياع عندما يعجز الأفراد في البنيان الاجتماعي عن بلوغ الأهداف المرغوبة بالوسائل المشروعة.

والذي يحدد درجة الضياع لدى الفرد هو إحساسه بالحرمان النسبي بغض النظر عن مستواه الفعلي. والنتيجة أن يحاول الفرد اللجوء إلى وسائل غير مشروعة لبلوغ الهدف المطلوب، ويبدو أن كل الأفراد يحسون ببعض الضغط لاستعمال الوسائل غير المشروعة. إلا أن معظم هذا الضغط يتركز على أولئك الذين تعوزهم فرصة النجاح بالوسائل المشروعة. ويحدث الانحراف كنتيجة للجوء إلى هذه الوسائل غير المشروعة.

وعلى هذا فالانحراف يحدث نتيجة تركيز أفراد على غايات معينة في المجتمع في الوقت الذي يواجهون عقبات اجتماعية تعوقهم عن بلوغ هذه الغايات بالطرق المشروعة.

مثال ذلك أن الزواج (غاية) تقتضي تدبير المال اللازم للمهر وخلافه (وسيلة). وكل شاب يصل إلى سن الزواج يسعى إلى تدبير وتجميع المال اللازم لكي يتزوج. ولكن الكثيرين يدركون أن المطلوب أكثر مما يستطيعون. فإذا رأى الفرد أنه يستطيع بعد فترة محددة تدبير ما يلزمه فإنه يصبر على أمره، أما إذا أدرك أن المطلوب يتطلب منه كل عمره المرتقب فإنه يبحث عن حل يعتبر منحرفا عن المطلوب كأن يلجأ إلى الزواج العرفي أو الزواج من أجنبية. . . . الخ.

٢ـ نظرية الثقافة الفرعية Subculture theory

وترى هذه النظرية إن السلوك المنحرف سلوك طبيعي تحكمه نفس القواعد التي تحكم غيره من السلوك. وأن السلوك الذي ينظر إليه المجتمع على أنه منحرف قد تنظر إليه الثقافة الفرعية على أنه مرغوب. وعلى هذا فالثقافة الفرعية تدعم السلوك الذي يعتبره المجتمع منحرفا.

وعلى هذا فالانحراف إنما ينشأ من التعرض للثقافات الفرعية التي تشجعه والفرد ينحرف نتيجة لاختلاطه ببيئة اجتماعية يتعلم منها السلوك المنحرف. وهنا تنشأ ثقافة فرعية تشجع على الانحراف. فالفرد العادي في ظل هذه النظرية لا يتصور أن ينحرف إلا أن صادف من يعلمه السلوك المنحرف ويشجعه عليه. ومن هنا ينبغي التركيز على منع الاتصال بجماعات المنحرفين الذي يخشى منهم.

٣ـ نظرية التسمية Labeling theory

تعني التسمية أن المجتمع هو الذي يصنع الانحراف الاجتماعي ويحدد له مواصفاته. فالحقيقة أنه لا يوجد سلوك منحرف بطبيعته. ولكن السلوك يعتبر منحرفا فقط في مكان وزمان معينين لا لسبب إلا لأن الناس اعتبروه كذلك أو أطلقوا عليه اسم سلوك منحرف. ويميز أنصار هذه النظرية نوعين من الانحراف هما الانحراف الأولي والانحراف الثانوي. فالانحراف الأولي هو الأفعال المنحرفة التي يأتيها كل فرد تقريبا. والانحراف الأولي عادة ما لا يكتشفه أحد. وإذا حدث واكتشف فإن الأفراد والمجتمع يتلمس الأعذار لمن ارتكبه ولا يعتبر أن ذلك إخلال بالنظام. فالتأخير عن مواعيد العمل وتوقيع الموظفين بدلا من زملائهم الغائبين مثلا. انحرافات لا يستنكرها أحد فهي أولية.

وقد يعتبر السلوك الانحرافي أوليا لأن المجتمع يعتبر أن الفاعل لم يقصده ولم يكرره. فإذا سرق طفل قطعة شيكولاتة من المتجر فإننا عادة لا نعتبره لصا وإنما نقول إنه صغير لا يدرك أنها سرقة. وإذا ضبط أستاذ أحد الطلبة المجتهدين يغش في الامتحان فإنه لا يعتبره غشاشا وإنما يعتبر أن تلك هفوة صدرت منه بغير قصد فيكتفي بتنبيهه. وهكذا فإن السلوك قد يعتبر أوليا إما لأن المجتمع يتغاضى عنه أو لأن المجتمع يلتمس لفاعله العذر.

وأما الانحراف الثانوي (الانحراف المرفوض) فإنه ذلك الانحراف الذي يرفض المجتمع أن يلتمس العذر لفاعله إما لأن الفعل نفسه أكبر من أن يستهان به (كالضرب والقتل والزنا) وإما لأن الفاعل قد أساء استغلال تسامح المجتمع معه فتمادى في تكرار الفعل المنحرف. كما يحدث مثلا إذا قام الطفل الذي سرق قطعة

الحلوى من المتجر بتكرار فعلته كل يوم أو عندما يكرر الطالب المجتهد محاولات الغش ويصر عليها ويتكرر ضبطه. في كل هذه الحالات يعتبر الانحراف ثانويا، ويطلق على الفاعل اسم منحرف (حرامي أو غشاش) مثلا.

وعندما يطلق على الفرد أحد الأسماء الدالة على اعتباره منحرفا لأنه أتى سلوكا يعتبره المجتمع انحرافا ثانويا، يبدأ نوع من التفاعل بين الفرد والآخرين. فالآخرين يتفاعلون مع الفرد على أنه منحرف. فالبائع عندما يرى الطفل الحرامي سوف يراقبه بشدة أو قد يمتنع عن إدخاله المتجر. والأطفال قد يعيروه بأنه حرامي كلما أتتهم فرصة، والأستاذ عندما يرى الطالب الغشاش سوف يركز عليه انتباهه وزملاؤه سوف يشيرون إليه بأنه الغشاش. وفي رد فعل لتلك التصرفات نجد أن الفرد يثبت لديه في إدراك الذات أنه منحرف. أليس الناس يعتبرونه منحرفا. حسنا فليكن إذن كما يراه الناس. وهنا يحاول أن يقوم بالدور المنحرف الذي يراه عليه الآخرون فيتدعم لديه السلوك الانحرافي. (أنظر مثلا ما تقضي به كثير من القوانين من التساهل مع من يرتكب جريمة للمرة الأولي وتشديدها على من تتكرر منه الجريمة).

أسئلة على الباب السابع

١ـ هل التنشئة الاجتماعية عملية مضمونة النتائج؟ كيف؟ ولماذا؟

٢ـ عرف كلا من المفاهيم التالية :

(أ) التنشئة الاجتماعية . (ب) الجماعة المرجعية .

(جـ) الانحراف الأولى (د) الابتكار

٣ـ يستعمل البعض مفهوم التثقيف كمرادف للتنشئة الاجتماعية . إلى أي حد يعتبر ذلك مقبولا من وجهة نظر علم الاجتماع؟ دلل على ما تقول؟

٤ـ ما معنى كل من العبارات التالية في ضوء دراستك للتنشئة الاجتماعية .

(أ) يموت المعلم ولسه بيتعلم .

(ب) ينشأ ناشئ الفتيان منا . . . . على ما كان عوده أبوه .

(جـ) من عاشر القوم ثلاثين يوم بقى منهم .

٥ـ هل وصف الانحراف يطلق على الفعل أم على الفاعل؟ علل لما تقول؟

٦ـ ما رأيك في كل من الأفعال الآتية؟ ولماذا؟

(أ) طالب يسأل زميل له عن نقطة معينة أثناء الامتحان التحريري .

(ب) مواطن يقدم سيجارة إلى موظف حكومي أثناء قضاء مصلحة له .

(جـ) عجوز يغافل طفلا ويأخذ منه قطعة حلوى .

(د) موظف يوقع لزميل له في دفتر الحضور والانصراف .

٧ـ هناك من يقول إن « الإرهاب والمخدرات وجهان لعملة واحدة » . إلى أي مدى تتفق مع هذا الرأي؟ ولماذا؟

٨ـ استعرض النظريات المختلفة التي تفسر الانحراف الاجتماعي؟

الباب الثامن
الجماعات
Groups

تمهيد

ذكرنا فيما سبق أن الحياة الاجتماعية تتكون من الأفراد والجماعات وقلنا إن هناك من علماء الاجتماع من يعتبر أن الأفراد هم الكيان الحقيقي الملموس وأن الجماعة ليست كيانا واقعيا يمكن مشاهدته. وفي المقابل منهم من يؤكد أن الجماعة كيان حقيقي ملموس لأن له تأثير على السلوك الاجتماعي للأفراد. وكلا الفريقين يعتبر أن الجماعة هي أي وحدة اجتماعية أكبر من الفرد. وبهذا المعنى العام تصبح جميع الوحدات الاجتماعية التي توجد في حياتنا الاجتماعية جماعات. إلا أن الدراسات الاجتماعية تبين أن الوحدات الاجتماعية تختلف في صفاتها كثيرا عن بعضها البعض بحيث إن الاكتفاء بمفهوم واحد للإشارة إليها يصبح عديم الجدوى. ومن هنا ابتكر علماء الاجتماع مفاهيم مختلفة للأشكال المختلفة من الجماعات. ويكاد يتفق الفكر الاجتماعي على أن الحياة الاجتماعية تحوي خمسة أنواع رئيسية مميزة من الجماعات البشرية (الوحدات الاجتماعية) هي :ـ

١ـ الجماعات groups:

ويطلق عليها البعض أوصاف للتعبير عن أبرز معالمها. فيستعمل البعض مفهوم الجماعات الصغيرة Small groups لتوجيه الانتباه إلى صغر عدد أفرادها. ويستعمل آخرون مفهوم الجماعات الأولية Primary groups لتوجيه الأنظار إلى أن لها أهمية أكبر في الحياة الاجتماعية لأنها تربط بين أفرادها بعلاقات قوية. ويستعمل فريق ثالث مفهوم الجماعات غير الرسمية Informal groups لتأكيد

أنها تتكون وتستمر دون استعمال بنود رسمية مدونة . ونحن هنا نفضل استعمال مفهوم الجماعات خاليا من أي صفة لتفادي الخوض في التفاصيل الدقيقة للفروق بين المفاهيم من جهة . ولأن ذلك يجعل الطالب المبتدئ يستوعب المفهوم بصورة أكثر يسرا وسهولة . ونعني بالجماعة هنا "وحدة اجتماعية تتكون من عدد صغير من الأفراد الذين تربطهم علاقات وثقافة وأهداف مشتركة" .

٢ـ المنظمات Organizations :

ويطلق عليها البعض أوصافا للتعبير عن أبرز معالمها . فيستعمل البعض مفهوم المنظمات الرسمية Formal organizations للتأكيد على أن ما يميزها هو اعتمادها على النصوص و الإجراءات الرسمية . ويستعمل فريق آخر مفهوم المنظمات المعقدة Complex Organizations للتأكيد على حقيقة أن بنائها الاجتماعي أكثر تعقيدا . ونحن نستعمل هنا مفهوم المنظمات لذات الأسباب التي ذكرناها لتبرير استعمال مفهوم الجماعة . ونعني بالمنظمة هنا وحدة اجتماعية تتكون بصورة مقصودة لتحقيق هدف أو مجموعة أهداف محددة .

٣ـ المجتمع المحلي Community:

وهو جماعة من الناس الذين يعيشون في بقعة معينة من الأرض ويمارسون حياتهم اليومية في نطاقها . ويتمثل المجتمع المحلي في الجماعة التي تعيش في بلدة معينة قرية كانت أو مدينة .

٤ـ المؤسسات الاجتماعية Institutions:

ويطلق عليها البعض اسم النظم الاجتماعية . والمؤسسة الاجتماعية عبارة عن بنيان اجتماعي يقوم بأداء أحد الوظائف الأساسية اللازمة لاستمرار المجتمع . مثل المؤسسة الأسرية – الدينية ـ الاقتصادية ـ التعليمية ـ السياسية .

٥ـ المجتمعات Societies:

ونعني بالمجتمع وحدة اجتماعية ذات سيادة كاملة على كل الأفراد والجماعات الموجودة بها . ويتمثل المجتمع في كل المواطنين الذين يعيشون في الدولة .

وينظر البعض إلى تلك الأنواع على أنها مستويات مختلفة من الوحدات الاجتماعية . وينظر إليها البعض الآخر على أنها أشكال مختلفة من البنيان الاجتماعي . وسوف نتكلم في هذا الباب عن الجماعات ثم نتبعه بالحديث عن المنظمات وأخيرا نتحدث عن المؤسسات الاجتماعية .

تعريف الجماعة:

يمكن تعريف الجماعة بأنها بنيان اجتماعي ينشأ خلال التفاعل المتكرر بين عدد صغير نسبيا من الأفراد الذين لديهم أهداف وثقافة وخطوط اتصال مشتركة . وطبقا لهذا التعريف فان أي عدد صغير من الأفراد يشكلون جماعة إذا توافرت لهم أمور ثلاثة هى :

١ـ أهداف مشتركة:

ويعني ذلك أن كل فرد يهمه السعي إلى تحقيق نفس الهدف إما لمصلحة شخصية له أو لمصلحة الجماعة ككل . وتلك الأهداف المشتركة هي التي تعمل على التوحيد بين الأفراد ليسلكوا في نفس الاتجاه المحقق للأهداف . ولا يمكن تصور تكوين جماعة بدون هدف مشترك . ولكن الجماعة لا تتفكك بمجرد تحقيق الهدف

الذي تجمعت حوله . وإنما هي تبحث لنفسها عن هـدف أو أهـداف جديـدة . وقـد تسعى الجماعة إلى تحقيق أكثر من هدف في نفس الوقت .

٢ـ ثقافة مشتركة:

ويعني ذلك وجود عدد من المعايير والعناصـر الثقافيـة الـتي توجـه سـلوك أعضاء الجماعة . ولا يقصد بذلك أن تكون تلك الثقافة المشتركة مستقلة عن الثقافـة السائدة . ولكن الجماعة تسعى إلى ابتكار العناصر الثقافية التي تسير وفقا لها مع عدم الخروج على الثقافة السائدة . وأن تلك العناصر الثقافيـة اللازمـة لتكـوين الجماعـة تكون محدودة جدا في معظم الأحيان إلا أن وجودها ضروري لتكوين الجماعة .

٣ـ خطوط اتصال مشتركة:

ومعنى ذلك أن كل فرد في الجماعة يستطيع الاتصال بكل فـرد آخـر فيهـا . فهذا الاتصال هو الذي يعمل على تشكيل الثقافة المشتركة ويحرك الأفراد نحو تحقيـق الأهداف المشتركة .

وإذا افتقد البنيان الاجتماعي إلى أي من تلك المكونات الثلاثة فانه لا يشكل جماعة بالمعنى المحدد للمفهوم . ولهذا ابتكر علماء الاجتماع مفـاهيم أخـرى للتعـبير عـن أشكال البنيان الاجتمـاعي الـتي لا ترقـى إلى أن تكـون جماعـات . وينبغـي أن يعـي الدارس الاجتماعي دائما الفروق المميزة بين تلك المفاهيم .

ومن ذلك مفهوم التجمع aggregate الذي يشير إلى مجموعة من الأفراد الـذين يتجمعون في مكان جغرافي محدد في فترة زمنية محددة . مثال ذلك المنتظرين على محطـة الأتوبيس . فهؤلاء قد يكون لهم هدف مشترك هو انتظار الأتوبيس ولكنهم يفتقدون

الثقافة المشتركة وخطوط الاتصال المشتركة. وفي أحيان كثيرة قد لا يحدث أي اتصال بينهم.

ومن ذلك أيضا مفهوم الفئة Category الذي يشير إلى مجموعة من الأفراد الذين يشتركون في صفة معينة ومثال ذلك فئة أصحاب المعاشات وفئة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة. والفئة الاجتماعية تفتقر إلى العناصر الضرورية لتكوين الجماعة.

الجماعة والعلاقات الاجتماعية الأولية:

اللافت للنظر أن توفر الشروط الثلاثة اللازمة لتكوين الجماعة (الأهداف والثقافة وخطوط الاتصال) يؤدي إلى أن تكون العلاقات الاجتماعية بين الأفراد قوية ومتينة ومستقرة. ومثل هذه العلاقات يطلق عليها اسم العلاقات الاجتماعية الأولية وهى أهم ما يميز الجماعات على غيرها من الوحدات الاجتماعية الأخرى. وتتسم العلاقات الاجتماعية الأولية بثلاث سمات أساسية هى :ـ

١ـ إنها شخصية وودية:

ينظر أطراف العلاقة الأولية كل للآخر على أنه فرد فريد لا يمكن استبداله بشخص آخر. ويعني ذلك أن العاطفة التي يكنها كل منهم للآخر لا يمكن نقلها لأشخاص آخرين ببساطة. وذلك مثل علاقة الفرد بزوجته أو والده أو ولده. ففي كل من هذه العلاقات تقوم العلاقة على أساس شخصيات وعواطف الأفراد المعنيين. فليس من الممكن أن يترك الشخص ولده ويتبنى شخصا آخر مثلا. في حين أنه يمكن ترك البقال الذي يتعامل معه ويتعامل مع شخص آخر. وإذا حدث وفقد أحد أطراف العلاقة الأولية الطرف الآخر فانه لا يجد بديلا فوريا يتحول إليه. وفي

بعض الحالات قد لا يجد البديل بالمرة. وعلى أي حال فان البديل لا يوجد إلا بعد فترة تكفي لنمو علاقة شخصية أخرى. وحتى إذا وجد البديل فمن المستحيل أن يكون مطابقا للطرف المفتقد. فالعلاقة الأولية يجب أن تكون ودية أي أنها تقوم على مشاعر عميقة.

٢ـ إنها متعددة الجوانب:

تظهر العلاقة الأولية في كثير من مواقف الحياة المتباينة. فكل طرف يدخر الطرف الآخر لحين الحاجة. ويلجأ الفرد إذا احتاج إلى بعض المال أو إذا أصابه مرض أو أراد عقد صفقة. . . الخ إلى طلب العون ممن تربطه بهم علاقات أولية دون غيرهم.

٣ـ إنها غاية في ذاتها:

يحس الأفراد بأن العلاقات الأولية تضفي عليهم نوعا من الإشباع. ولذا فإنها غالبا ما تكون غاية في ذاتها. إلا أنها أحيانا ما تستعمل لبلوغ غايات أخري. ولذا فان الأفراد عادة ما ينظرون بريبة إلى أولئك الذين يحاولون أن يصوروا علاقتهم بهم على أنها شخصية أولية في حين أنها ليست كذلك.

عوامل نمو العلاقات الاجتماعية الأولية:

هناك ظروف معينة تزيد من فرصة نمو العلاقات الأولية وبالتالي تكوين الجماعات الأولية وهى:

١ـ التفاعل المباشر وجها لوجه:

يتيح الاحتكاك المباشر جوا لنمو العلاقات الشخصية والفردية. صحيح أنه يمكن أن يوجد تفاعل شخصي خلال التليفون والبريد، إلا أن هذا ليس كافيا لتبادل المشاعر والأحاسيس لأنها تحتاج إلى التفاعل المباشر. ذلك أن التفاعل المباشر لا يضع

حدا للتعبيرات التي يمكن أن يتبادلها الأفراد. ومن هنا فان التفاعل المباشر يتيح الفرصة لفهم الأفراد لبعضهم البعض وتقرير ما إذا كان من مصلحة كل منهم استمرار التفاعل بينهما. وإذا وجد الطرفان أن من مصلحة كل منهما استمرار التفاعل فإنهما يكررانه ويؤدي التكرار إلى تكوين العلاقة الأولية.

٢ـ صغر حجم الجماعة:

يتطلب نمو العلاقات الأولية بجانب التفاعل المباشر أن يكون حجم الجماعة صغيرا. فالفرد لا يستطيع أن ينخرط في علاقات أولية مع عدد كبير من الأفراد في فترة زمنية قصيرة. ذلك أن طاقته الطبيعية والعاطفية لا تمكنه من ذلك. كما أنه كلما كبرت الجماعة كلما كان من الصعب على الأفراد أن يعرف كل منهم الآخرين معرفة جيدة لدرجة تسمح بنشوء علاقات أولية.

٣ـ استمرار التفاعل الاجتماعي:

يتطلب نمو العلاقات الأولية تفاعلا مستمرا لمدة زمنية طويلة نسبيا. فاستمرار التفاعل يتيح الفرص للأفراد لكي يزيدوا من كمية وعمق المعلومات التي يعرفها كل منهم عن الآخر. وهذه المعلومات لازمة لنمو العلاقات الأولية. ولكن إذا لم توجد فرص لاستمرار التفاعل فإن العلاقة تتوقف عن النمو.

٤ـ طبيعة البنيان الاجتماعي الموجود فيه الأفراد:

أحيانا ما تتوفر الشروط الثلاثة السابقة ولكن البنيان الاجتماعي يعوق نمو العلاقات الأولية. فهناك أنواع من البنيان الاجتماعي التي يعتبر فيها نمو العلاقات الأولية غير مرغوب مثال ذلك البنيان الاجتماعي للوحدات العسكرية والأحزاب والمؤسسات الاقتصادية. ذلك أن عدم وجود عوائق لنمو العلاقات الأولية في مثل هذه الأوضاع يشكل تهديدا لها لأنها ينبغي أن تقوم على العلاقات الثانوية.

فالعلاقات الأولية بين الرؤساء والمرؤوسين في مثل تلك المنظمات يتنافي مع ممارسة السلطة التي ينبغي استعمالها لتسيير أمور البنيان الاجتماعي .

وظائف الجماعات الأولية:

تؤدي الجماعات الأولية في المجتمع عدة وظائف أهمها ما يلي :

١ـ تنشئة الأفراد اجتماعيا:

للجماعة الأولية أهمية خاصة في تعليم الثقافة والطرق المرغوبة في التفكير والإحساس والسلوك اللازمة للمشاركة في أي بنيان اجتماعي . ومن هنا تساعد العلاقات الأولية في تأكيد المعايير الاجتماعية المتكررة الثابتة . ذلك أن أطراف العلاقات الاجتماعية الأولية عادة ما يثقون في المعاني والرموز التي تنقل إليهم عن طريق الأطراف الآخرين في العلاقة الأولية . وهذا يدفعهم إلى الحرص على تلك المعاني والرموز والالتزام بها في حياتهم ، وهذا هو معنى التنشئة الاجتماعية .

٢ـ توفير الدعم العاطفي:

العلاقات الاجتماعية الأولية تربط الفرد بالجماعة بصورة قوية . وقد وجد دور كايم Durkheim أن الناس الذين تعوزهم العلاقات الأولية الودية تزداد بينهم معدلات الانتحار . وتؤدي قوة العلاقات الاجتماعية الأولية إلى زيادة الشعور بالانتماء إلى الجماعة وزيادة التوحد معها . وبذلك فإن الفرد والجماعة يدعم كل منهما الآخر باستمرار مما يساعد على تنمية مشاعر الود والعطف بين الأفراد .

٣ـ تكامل الأفراد في البنيان الاجتماعي الأكبر:

تساعد الجماعات الأولية في ربط الأفراد بالبنيانات الاجتماعية الأكبر مثل المنظمات والمجتمعات المحلية . فالفرد يحس بالانتماء إلى البنيان الاجتماعي كلما وجد من بين أفراد هذا البنيان من تربطه بهم صلات مودة وروابط اجتماعية أولية .

فوجود أفراد تربطهم بشخص علاقات أولية يجعله يرتبط بالبناء الاجتماعي الذي هم جزء منه. فإذا كان الفرد لا يستطيع أن يكون علاقة مباشرة مع كل الأفراد في البناء الاجتماعي الكبير فانه يكفيه وجود علاقة أولية تربطه بعدد محدود من هؤلاء الأفراد. مثال علاقة الفرد بالقرية التي نشأ فيها، استراليا والهجرة إليها من جماعات أولية (أقارب).

٤. ممارسة الضبط الاجتماعي (الغير رسمي):

يعتبر ضغط الجماعات وخصوصا الجماعات الأولية قوة هائلة من قوى الضبط الاجتماعي الغير رسمي. فالجماعة عادة ما تضغط على أفرادها لكي يسلكوا بشكل معين. وعادة ما ينصاع الأفراد لهذا الضغط إذا كانت علاقاتهم بأفراد الجماعة قوية لدرجة لا يمكن معها التفريط فيها. فالفرد عادة ما يتردد في التفريط في العلاقات الأولية. ولهذا فانه يمتثل لضغوط الجماعة الأولية. وهذه الحقيقة تجعل الجماعات الأولية قادرة على ممارسة ضغط مستمر على أعضائها في سبيل تحقيق القدر اللازم من الضبط الاجتماعي، مثال عند وجود مشكلة مع شخص ما يتم اللجوء لأحد أصدقائه للتدخل.

تفكك الجماعة الأولية:

لا تعني أهمية الجماعات الأولية أنها جماعات ثابتة التكوين. فهناك أدلة على أن العلاقات الأولية عادة ما تستمر بالرغم من وجود بعض الشوائب التي قد تعكر صفوها. فكثير من الأفعال التي قد تثير السخط إذا ما صدرت من شخص غريب تكون محتملة جدا إذا صدرت من عضو الجماعة الأولية. أو كما يقول المثل (حبيبك

يبلع لك الزلط) إلا أن هناك ظروفا قد تؤدي بأعضاء الجماعة الأولية إلى إعادة النظر في علاقتهم بها، وبالتالي إلى تحللها وأهم هذه الظروف ما يلي:

١ـ الأزمات الشخصية القوية:

قد يؤدي مرور الفرد بأزمة حادة إلى مراجعة علاقته بالآخرين في الجماعات الأولية المختلفة. فالجماعات الأولية عادة ما تؤكد على أنها تمد يد العون لأعضائها عند الحاجة. إلا أنه قد يحدث ألا يجد الفرد مساعدة من أعضاء جماعته الأولية بينما يجدها من بعض المعارف الذين لا تربطه بهم علاقة قوية. وهناك كثير من العلاقات الأولية التي تستديم لا لسبب إلا أنها لم تختبر في مواقف فعلية. وهنا تعتبر الأزمة فرصة لاختبارها والحكم على مدى ضرورة استمرارها وهنا يصدق قول الشاعر:

جزي الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوي من صديقي

والأزمات قد تؤدي إلى تحلل الجماعات الأولية أيضا بطريقة أخرى. ذلك أنه كثيرا ما يحدث أن يحرص الفرد الذي يمر بأزمة على أن يظل أمر هذه الأزمة سرا لا يعرفه حتى أقرب المقربين إليه. وهذا يؤدي به إلى اعتزال بعض الجماعات الأولية حتى لا يقع في مأزق نتيجة كتمانه لأسراره أو يضطر إلى الإعلان عنها تحت ضغط الآخرين الذين يرتبط بهم.

٢ـ الحراك الاجتماعي:

يعتبر التكافؤ بين أعضاء الجماعة الأولية أحد الأسس الهامة لقيامها. حيث إن أفراد الجماعة الأولية عادة ما يكونون متقاربي المكانة الاجتماعية. ولكن كثيرا ما يحدث أن تتغير المكانة الاجتماعية لبعض الأفراد في الجماعة بالصعود أو الهبوط. والفرد الذي يحدث له هذا الحراك عادة ما يقلل من تفاعله مع أعضاء الجماعات

الأولية وخاصة جماعات القرابة، فتحرك الفرد إلى أعلى يجعله ينظر من أعلى إلى جماعاته الأولية. وهذا يفقد هذه العلاقات أهميتها وقوتها. أما تحركه لأسفل فانه يجعل من الصعب عليه أن يحافظ على مستوى علاقاته الأولية. ذلك لأن مقارنته المستمرة بين نفسه وبين الآخرين في الجماعة الأولية تسبب له آلاما نفسية قد لا يتحملها.

٣ـ تدخل الأطراف الخارجية:

عادة ما تكون هناك توقعات معينة من الجماعة الأولية يشترك فيها كل من أعضاء الجماعة والآخرين المحيطين بها. وكثيرا ما يحدث شرخ في الجماعة الأولية وتتدخل أطراف أخرى لتوسيعه بالرغم من رغبة أفراد الجماعة في معالجته. فعندما يحكي أحد أفراد الجماعة الأولية لصديق له عن خلاف بسيط بينه وبين جاره أو زوجه فان هذا الصديق كثيرا ما يؤازره ويحضه على عدم التهاون مع هذا الجار أو ذلك الزوج. ومن هنا فان الكثيرين ينصحون الزوجين حديثي الزواج بأن يبقيا خلافاتهما سرا لأن ذلك يجعلها أسهل حلا مما لو صارت معلومات معروفة للآخرين.

أسئلة على الباب الثامن

١ـ فرق في جدول بين كل من الفئة والتجمع والجماعة؟

٢ـ اشرح وظائف العلاقات الاجتماعية الأولية

٣ـ ما معنى كل من الأقوال التالية في ضوء دراستك للجماعة الأولية :

(أ) السر بين اثنين .

(ب) ما بقاش من توبنا .

(جـ) الصديق يبان في الشدة .

٤ـ ما معنى أن العلاقات الاجتماعية الأولية شخصية وودية؟

٥ـ أي أفراد الأزواج الآتية يساعد على تنمية العلاقات الاجتماعية الأولية؟ مع التعليل :

(أ) أسرة لديها ثلاثة أطفال وأسرة لديها عشرة أطفال .

(ب) القرية والمدينة .

(جـ) المدرسة الابتدائية والجامعة .

(د) أسرة سافر عائلها للعمل بالخارج وأسرة سافرت مع عائلها ليعمل بالخارج .

(هـ) الاستماع إلى درس ديني بالمسجد ومشاهدة درس مماثل بالتليفزيون .

(و) العمل في وزارة الشئون الاجتماعية والخدمة في الجيش .

(ز) المزرعة والمصنع .

الباب التاسع
المنظمات الاجتماعية
Organizations

تمهيد

في حياتنا العادية كثير من الوحدات الاجتماعية التي ننتمي إليها أو نتعامل معها في كثير من أوجه نشاطنا. فالمدرسة والمستشفى وقسم الشرطة كلها وحدات اجتماعية شائعة في المجتمعات المعاصرة، مثل هذه الوحدات تسمى المنظمات الاجتماعية تمييزا لها عن غيرها من أشكال البنيان الاجتماعي.

وقد أصبحت المنظمات الاجتماعية سائدة في المجتمعات المعاصرة لدرجة تستوجب دراستها دراسة اجتماعية للوقوف على مواصفات بنائها الاجتماعي وما يتم من خلالها من أنشطة. ذلك أن أي فرد لا يمكن له الحياة بدون اللجوء إلى هذه المنظمات في بعض أو كل شئونه.

إن المتتبع لمجريات الأحداث في المجتمع ليجد أن انتشار هذه المنظمات في ازدياد مستمر. وأن هذه المنظمات تحل محل وحدات اجتماعية أخرى في القيام بكثير من الوظائف الاجتماعية. ففي حين كان تعليم الأطفال في الماضي يعتمد على الكتاتيب أصبح التعليم يتم في المدارس والجامعات. أي أن المنظمات التعليمية أنشئت لتؤدي المهمة بصورة أكثر انتظاما وهكذا نفس الشئ بالنسبة للنشاط التجاري والصناعي والخدمي وغيرها.

ما هى المنظمة الاجتماعية:

ليس هناك اتفاق بين علماء الاجتماع على تعريف محدد للمنظمة الاجتماعية . فمثلا يقول قيبر Feber أن المنظمة عبارة عن وحدة اجتماعية تضع قواعد لقبول الأعضاء ويقوم على حفظ النظام فيها أفراد يضطلعون بالمهمة التنظيمية .

ويقول اتزيوني Etzioni أن المنظمة عبارة عن وحدة اجتماعية تتكون خصيصا لبلوغ أهداف محددة . ويقول سكوت Scott أن المنظمة عبارة عن تجمع بشري يخلق بغرض السعي لتحقيق أهداف محددة نسبيا وبصورة مستمرة .

وبالنظر إلى تلك التعريفات كأمثلة نجد أن كل منها يبرز عنصرا أساسيا من عناصر تكوين المنظمة . ففي حين يؤكد قيبر على عنصر الرسمية في المنظمة ممثلا في وضع قواعد لقبول الأعضاء ، يركز أتزيوني على عنصر الأهداف باعتباره أساس تكوين المنظمة . ويفعل سكوت نفس الشئ مع اختلاف في الصياغة . ويبدو أن أي تعريف شامل ينبغي أن يؤكد على ما يلي :

١ـ أن المنظمة يتم تكوينها بصورة عمدية ولا تنشأ بطريق الصدفة أو بصورة تلقائية .

٢ـ أن المنظمة تضطلع بتحقيق هدف أو أهداف محددة .

٣ـ إن المنظمة توجد في مجتمع محلي أو مجتمع تعمل لصالح بعض أو كل أعضائه . ولذا فهي على علاقة بكثير من الأفراد والوحدات الاجتماعية في المجتمع . وتشكل الوحدات الاجتماعية المحيطة بيئة المنظمة . فالمنظمة تعيش في بيئة اجتماعية تؤثر فيها وتتأثر بها ولكن هناك حدودا فاصلة بين المنظمات وبيئتها .

وعلى هذا يمكن تعريف المنظمة الاجتماعية بأنها بنيان اجتماعي يوجد في بيئة اجتماعية ويتميز عن البيئة بحدود تفصله عنها وينشغل عادة بأنشطة مرتبطة بالسعي لتحقيق أهداف محددة.

مواصفات المنظمات الاجتماعية Characteristics of Organizations

يقول فيبر أن المنظمة الاجتماعية هي أكثر أشكال البنيان الاجتماعي كفاءة لتحقيق الأهداف المرجوة. ويحدد فيبر أربعة مواصفات مشتركة بين المنظمات التي تعطيها الميزة النسبية في تحقيق الأهداف الاجتماعية. وهذه المواصفات هي:

١ـ تسلسل السلطة Hierarchy of authority:

السلطة هي حق بعض الأفراد في التأثير في سلوك الآخرين. ويعطي البنيان الاجتماعي للمنظمة السلطة لبعض الأوضاع الاجتماعية بصرف النظر عن الأشخاص الذين يشغلون هذه الأوضاع، فناظر المدرسة بغض النظر عن شخصيته له سلطة على بقية أعضائها من مدرسين وتلاميذ. ونفس الشئ يمكن أن يقال عن رئيس مجلس إدارة أي شركة وقائد أي وحدة عسكرية... إلخ

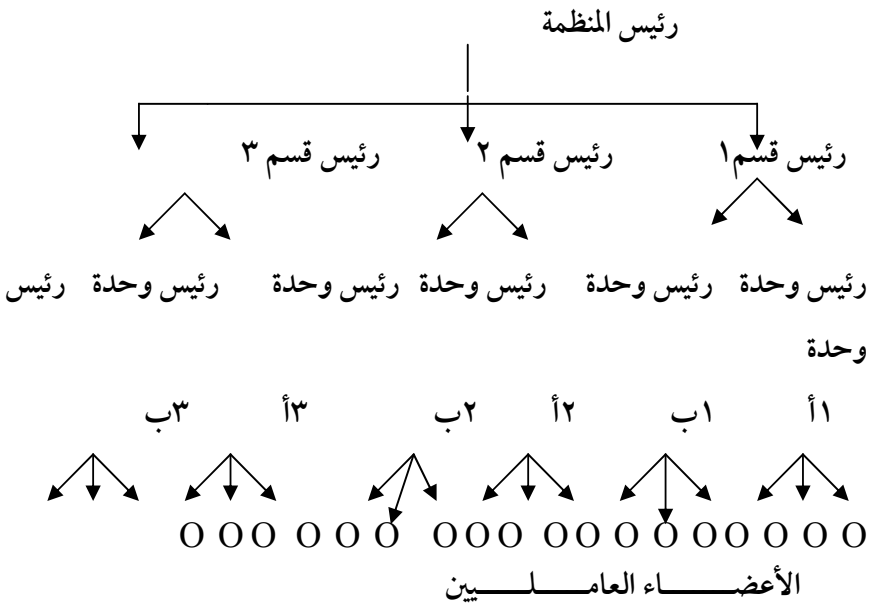

وعادة ما تتركز السلطة في أيدي شاغلي عدد قليل من المواضع الاجتماعية على مستوى القمة. ثم تعطي سلطة أقل لعدد أكبر من المواضع الأدنى. حتى أننا نجد أن توزيع السلطة يأخذ في النهاية الشكل الهرمي. وكل فرد في موضع معين يخضع لسلطة من يشغل مكانة أعلا من مكانته ويمارس سلطته على من يشغلون مكانة أقل من مكانته، ويطلق على توزيع السلطة بهذا الشكل اسم تسلسل السلطة. ويمكن تمثيل تسلسل السلطة كما يلي: حيث تمثل الأسهم اتجاه ممارسة السلطة.

٢ـ تقسيم العمل Division of labor:

يعني تقسيم العمل تجزئة العمل الإنتاجي أو الخدمي المراد القيام به إلى أجزاء صغيرة. وتوكل مهمة تأدية كل جزء من أجزاء العمل إلى قسم خاص في البنيان

الاجتماعي للمنظمة. ويقوم كل قسم بتجزئة العمل المنوط به إلى جزئيات وهكذا. وفي النهاية يوكل لكل فرد أو جماعة عمل القيام بإحدى جزئيات العمل. وعادة ما تكون جزئية العمل التي توكل إلى فرد واحد أو جماعة صغيرة متخصصة ومميزة عن غيرها. إلا أن هذه الجزئيات المتخصصة تتكامل مع بعضها. وتكون النتيجة تكوين بنيان متكامل من المواضع الاجتماعية المهنية التي يقوم كل منها بعمل خاص هذا وقد يتم تقسيم العمل على أساس واحد أو أكثر من الأسس الآتية:

(أ) خطوط السلطة:

يكون تقسيم العمل مرتبطا بتسلسل السلطة بحيث يتطابق تقسيم العمل مع خطوط السلطة في المنظمة. كما يحدث عند تقسيم منظمة عسكرية إلى ألوية ثم سرايا... إلخ

(ب) نوع العمل:

بحيث يكون تقسيم العمل مرتبطا بنوع العمل المطلوب إنجازه. أي أن العمل يقسم على أساس المهارات المطلوبة للقيام به. كما يحدث عندما يقسم العمل في شركة إنتاجية إلى قسم للإنتاج وقسم للتسويق وقسم للخدمات. أو عندما تقسم إدارة حكومية إلى أقسام للمخازن والمشتريات والشئون المالية والشئون الإدارية... الخ.

(جـ) نوع الخبرة المكتسبة خلال التدريب والعمل:

بمعنى أن يقسم أعضاء المنظمة حسب خبراتهم السابقة والتدريب الذي حصلوا عليه. ثم بعد ذلك يقسم العمل عليهم تبعا لذلك. كما يحدث عندما يقسم العمل التعليمي في مدرسة على المعلمين وفقا لتخصصاتهم التي درسوها فيكون قسم للرياضيات وآخر للعلوم وثالث للغة العربية وهكذا.

وأيا كان أساس تقسيم العمل فالمحصلة النهائية هى أن كل فرد في المنظمة لا يقوم إلا بعمل محدد. ويشكل مجموع الأعمال التي يقوم بها الأفراد عمل المنظمة. ففي الشركات الإنتاجية مثلا نجد أن هناك أقسام للإنتاج وأخرى للتوزيع وثالثة للإدارة. (مقسمة حسب نوع العمل)

مثال في المؤسسة التعليمية نجد أن هناك قسما خاصا بكل مادة علمية مثل الرياضيات والعلوم والجغرافيا. (نوع التدريب والخبرة) وهكذا. ويكون كل فرد مسئولا عن العمل المخصص له فقط لا يتخطاه إلى أعمال الآخرين ولا يترك شيئا منه للآخرين.

٣ـ مجموعة من القواعد والإجراءات Aset of rules and producers:

يوجد بكل منظمة مجموعة متكاملة من القواعد والإجراءات التي تحكم عملها. وتنص هذه القواعد والإجراءات على الكيفية التي ينبغي على أعضاء المنظمة إتباعها لتنفيذ المهام الموكولة إليهم. وهذه القواعد توجه كل فرد في اتخاذ قراراته في العمل.

وكثيرا ما نسمع عبارات مثل اللائحة تنص على كذا كتعبير عن دور هذه القواعد والإجراءات في البنيان الاجتماعي للمنظمة. ومن جهة أخرى فإن القواعد والإجراءات تحدد العلاقات بين أقسام المنظمة لتسهيل تعاونها وتحاشي الصدام فيما بينها. وعادة ما توضع القواعد الخاصة بالمنظمة عند إنشائها في صورة لائحة أو قانون أو اتفاقية وتظل القواعد ملزمة ما لم يتم تعديلها أو إبدالها بأخرى. أي أن القواعد قد تتغير. مثال لائحة كلية الاقتصاد المنزلي بجامعة الأزهر تنص على بنود عدة يلتزم بها من قبل الجهات المعنية. مثلا أن تكون الطالبات حاصلات على الثانوية الأزهرية، القسم العلمي، . . . . . الخ.

٤ـ التفاعل غير الشخصي Impersonal Interaction :

ويعني ذلك إبعاد العوامل الشخصية في التفاعل بين الأفراد الآخرين داخل المنظمة . ويؤدي ذلك – نظرياً – إلى ضمان معاملة الأفراد معاملة متساوية في كل ما يختص بأمور المنظمة فكل فرد يتعامل مع الآخر باعتباره زميل أو عميل أو ما شابه ذلك . والواقع أنه عادة ما يكسر الأفراد هذه القاعدة في معاملاتهم كما سنذكر فيما بعد . فمثلا إذا كان بالمدرسة ابن لأحد المدرسين فان المدرسة تطلب منه ألا يخصه بمعاملة خاصة وإنما يتعامل معه كتلميذ مثل باقي التلاميذ . ونفس هذا الشئ بالنسبة للصديق أو القريب أو الجار . . . الخ .

مزايا المنظمات الاجتماعية Advantages of organizations:

لقد استرعى نمو المنظمات الاجتماعية من حيث الحجم والعدد نظر كثير من علماء الاجتماع . وبدأوا يتساءلون عن سبب ذلك الانتشار . ويخلص كثيرون إلى أن للمنظمات مزايا تختص بها دون غيرها من أشكال البنيان الاجتماعي . وأهم هذه المزايا ما يلي :

١ـ إنها تتميز بالجدارة Efficiency :

وتعني الجدارة إتمام العمل المطلوب بأقل مجهود ممكن وفي أقل فترة زمنية ذلك أن المنظمة تضم أعضاء يستخدمون كل طاقاتهم ووقتهم للقيام بعملهم في المنظمة . فهناك تقسيم للعمل على أساس نوع العمل أو نوع الخبرة أو كليهما مما يكسب الأعضاء مهارة أكبر في أداء العمل . كما أن هناك قواعد وإجراءات معينة بالمنظمة تحكم عمل كل عضو فيها فيتلاشى الصدام ، بالإضافة إلى التفاعل غير الشخصي بالمنظمة والذي يجعل مصلحة المنظمة وأهدافها في المرتبة الأولى . وينعكس ذلك على أداء المنظمة وتحقيق أهدافها بسرعة أكبر وإتقان أعلى .

٢ـ إنها تتمتع بالاستقرار Stability :

المنظمات الاجتماعية أكثر استقرارا من كثير من أشكال البنيان الاجتماعي . ذلك أن تسلسل السلطة وتقسيم العمل والقواعد الرسمية تضفي على المنظمة نوعا من الاستقرار . وهذا يسمح للقائمين عليها بتوقع أداء الأعمال التي يطلبونها أو إطاعة الأوامر التي يصدرونها إلى الأعضاء الذين يقعون في مواقع أدنى منهم في تسلسل السلطة في المنظمة . كما أن الأفراد عادة ما يسلمون بسلطة الأفراد الذين يشغلون مواضع أعلى منهم في هرم السلطة . وهكذا تقل القلاقل ويزيد الاستقرار . فكل عضو في المنظمة يعرف القواعد والإجراءات ويحاول مراعاتها قدر الاستطاعة فيستقر العمل . كما يعرف كل عضو من أين يتلقى الأوامر والتوجيهات فتستقر التفاعلات . وهكذا تستقر المنظمة كوحدة اجتماعية .

أهداف المنظمات Organizational goals:

سبق أن ذكرنا أن المنظمات تقوم بغرض تحقيق أهداف معينة . فماذا تعني كلمة هدف؟ وما هي أنواع الأهداف التي تسعى المنظمات إلى تحقيقها؟

الهدف هو عبارة عن وضع مرغوب تسعى المنظمة إلى تحقيقه . وعادة ما ينص دستور المنظمة أو لائحتها على الهدف أو الأهداف التي يجب أن تحققها المنظمة ، وتسمى الأهداف المنصوص عليها في اللائحة بالأهداف الرسمية للمنظمة Formal goals . وعادة ما توضع الأهداف الرسمية في عبارات عامة مجردة يصعب تحقيقها دفعة واحدة في عمل المنظمة ، ولهذا يسعى القائمون عليها إلى ترجمة الأهداف الرسمية إلى أهداف إجرائية Operational gools ، والأهداف الإجرائية هي التي توجه سياسات وعمل المنظمة نحو بلوغها ، وبعبارة أخرى فإن الأهداف الرسمية

تنص على ما يجب أن تعمله المنظمة، أما الأهداف الإجرائية فهي التي توضح ما تعمله المنظمة فعلا، وفي معظم الأحوال فإن الأهداف الإجرائية تستمد من الأهداف الرسمية.

كفاءة المنظمات Organizational effectiveness:

لما كانت المنظمات تختص ببلوغ أهداف معينة. لزم إيجاد وسائل معينة لتحديد ما إذا كانت المنظمة تؤدي أهدافها. أو بعبارة أخرى لا بد من معرفة مدى نجاح المنظمة في القيام بالمهام الموكولة إليها. ومن هنا برز الاهتمام بدراسة كفاءة المنظمات.

ويمكن تعريف الكفاءة بأنها درجة تحقيق المنظمة لأهدافها. وبرغم سهولة هذا التعريف إلا أن دراسة الكفاءة ليست أمرا سهلا. فمن ناحية نجد أن لكل منظمة مجموعة أهداف كما ذكرنا. ويحار المرء في أيها يكون موضع تركيز في دراسة الكفاءة. ومن ناحية أخرى فإن تحديد درجة بلوغ الأهداف غالبا ما يكون أمرا بالغ الصعوبة. وعلى أي حال فإن الموضوع يستحق الاهتمام لأن كثيرا من المنظمات تخلق وتغير أو تلغى أو تستمر دون ما دراسة جادة للحكم على كفاءتها. ولا نملك في سبيل ذلك إلا أراء المهتمين بها من مهاجم ومدافع. وهذا أمر يعوق التخطيط السليم لتشكيل البنيان التنظيمي في المجتمع. ولا بد أن تكون دراسات كفاءة المنظمات هى الأساس الذي يبني عليه أي قرار يتعلق بتعديلها أو استبدالها بأخرى أو إلغائها كلية.

معوقات العمل في المنظمات:-

لا تعني الصورة التي تحدثنا عنها أن المنظمات آلات بشرية سليمة تؤدي دائما العمل المطلوب منها بالصورة المرغوبة. حيث أنه كثيرا ما يحدث أن يكون الأداء

قاصرا عن الاستفادة بمزايا المنظمات السابق ذكرها. وقد أوضحت الدراسات أن هناك كثير من الظواهر التي قد تعوق المنظمات عن القيام بدورها. وتسمى هذه الظواهر بمعوقات العمل في المنظمات وأهم هذه المعوقات وأكثرها انتشارا ما يلي:

١ـ الشلل والجماعات الغير رسمية Cliques and informal groups:

بالرغم من أن المفروض أن يكون السلوك في المنظمة غير شخصي، فانه كثيرا ما تتكون جماعات غير رسمية داخل المنظمة. هذه الجماعات تتفاعل على أساس شخصي لمصلحة المنظمة حينا وضدها أحيانا أخرى. ويطلق البعض على هذه الجماعات غير الرسمية اسم الشلل. وقد تسخر الشلل المنظمة لأهدافها الشخصية. كما أن أعضائها يضعون علاقاتهم ببعض في مرتبة أولى من عمل المنظمة ذاتها. وهكذا تؤدي الشلل إما إلى تعطيل العمل في المنظمة أو توجيهه إلى أهداف بديلة لا تتفق مع الهدف الرسمي للمنظمة.

٢ـ اضطراب ممارسة السلطة:

بالرغم من أن خطوط السلطة في المنظمة عادة ما تكون واضحة إلا أن ممارسة السلطة قد لا تنطبق على توزيعها الرسمي. ذلك أن من يملكون السلطة أحيانا تقتصر سلطتهم على اعتماد قرارات سبق اتخاذها بواسطة غيرهم. فالسلطة الفعلية هنا تكون لمن قام بصياغة القرار وليس لمن وقعه. ولما كان الذين يمارسون السلطة بهذا الشكل ليس عليهم مسئولية فإن ممارسة السلطة تضطرب. ويظهر ذلك بسبب سرعة تغير الأفراد في مراكز السلطة العليا. الأمر الذي يتيح للأفراد في المواقع الأدنى الأكثر استمرارا فرصة ممارسة سلطات واسعة داخل المنظمة لأنهم عادة ما يستمرون في مواقعهم لمدة أطول نسبيا من هؤلاء الذين يشغلون مراكز السلطة العليا.

مثال (تغيير الوزراء بالوزارة، أو تغيير رؤساء مجالس الإدارة بالمؤسسات بعد اتخاذهم قرارات معينة)

٣ـ تصادم السلطة والخبرة:

في كثير من المنظمات نجد أن هناك تضاربا بين السلطة الإدارية والقدرة الفنية. ويتمثل هذا التضارب في الاختلاف والنزاع حول تحديد من يجب أن تكون له الكلمة في المنظمة، فالإداريون يرون أنهم بحكم وضعهم في المنظمة أحق باتخاذ القرارات والفنيون من الناحية الأخرى يرون أنهم بحكم خبراتهم ومعلوماتهم الفنية أقدر على اتخاذ القرار السليم. وكثيرا ما يتسبب هذا النزاع في ضياع الوقت والمجهود الذي ينبغي أن يخصص للقيام بعمل المنظمة، وهكذا فإن وجود التصادم بين السلطة والخبرة يؤدي إلي تعطيل عمل المنظمة. وتختلف درجة التعطيل باختلاف شدة التصادم الحادث داخل المنظمة.

مثال ففي الشركة الإنتاجية مثلا تجد المهندسين الذين يديرون العملية الإنتاجية يعرفون ظروف العمل، والمديرين الذين ليس لديهم خبرة هندسية هم الذين يصنعون القرارات الأعلى والتي لا تراعى ظروف العمل الفعلية. وهنا يحدث أحيانا الاختلاف والتصادم بين الجانبين.

٤ـ بطء التكيف للظروف المتغيرة:

سبق القول أن لكل منظمة مجموعة من القواعد والإجراءات التي تحكم سير العمل فيها. ولما كانت قواعد العمل في المنظمة محددة فإن المنظمة إذا واجهت ظروفا مغايرة لتلك التي نشأت فيها فإنها ترتبك. وقليل من المنظمات تستطيع التأقلم للظروف المتغيرة في الوقت المناسب. أما في غالبية الأحوال فإن مديري المنظمات لا

يستطيعون التكيف في الوقت المناسب لأن اللوائح تعوقهم عن ذلك. وهذا يجعل المنظمة تستمر في العمل بنفس القواعد في ظل ظروف لا تناسبها هذه القواعد. وتكون النتيجة ألا تتمكن المنظمة من تحقيق أهدافها. ولذا ينصح بمراجعة قوانين ولوائح المنظمات دوريا. هذه المراجعة من شأنها أن تمكن المنظمة من تعديل لوائحها كلما تغيرت الظروف المحيطة بها. وهذا يجعل لائحة المنظمات تساير الظروف البيئية المحيطة بها.

مثال ارتفاع سعر الدولار بدرجة ما يؤثر على أسعار المدخلات لأي منتج (والتي هى مستوردة في كثير من الأحيان) وبالتالي ارتفاع سعر المنتج النهائي.

مثال حدوث توترات سياسية/ بيئية/ اقتصادية في أو مع بعض الدول الخارجية التي يعتمد عليها في الحصول على بعض المدخلات أو كأسواق للمنتج النهائي.

* * *

أسئلة على الباب التاسع

١ـ أذكر أسماء عشر منظمات اجتماعية تتعامل معها في حياتك العادية؟ ثم حدد هدف كل منها؟

٢ـ ما هو أساس تقسيم العمل في كل من المنظمات التي ذكرتها مع التدليل .

٣ـ استعرض مواصفات المنظمات الاجتماعية .

٤ـ ما هي معوقات العمل بالمنظمات الاجتماعية .

٥ـ عرف كلا من المفاهيم التالية :

(أ) أهداف المنظمة . (ب) كفاءة المنظمة .

(جـ) الشلل . (د) الجدارة .

* * *

الباب العاشر
المؤسسات (النظم الاجتماعية)

يمكن تعريف المؤسسة الاجتماعية على أنها مجموعة متشابكة من العلاقات الاجتماعية المبنية على الثقافة والتي توجه إلى بعض الأنشطة التي تعتبر ضرورية لاستمرار المجتمع. وتتميز المؤسسات الاجتماعية على غيرها من أشكال البنيان الاجتماعي بأنها ضرورية لاستمرار المجتمع. كما أنها تؤدي وظائف حيوية أساسية لا يستمر المجتمع بدونها. ويمكن التعرف على كثير من المؤسسات الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة. وقد درج علماء الاجتماع على التركيز على خمسة نظم اجتماعية توجد في كل مجتمع وهى الأسرة، والاقتصاد، والدين، والسياسة، والتعليم. وفيما يلي سنتكلم عن المؤسسة الأسرية (الأسرة) مع التركيز على بنيانها الاجتماعي ووظائفها التي تؤديها في المجتمع.

الأسرة: Family
(المؤسسة الأسرية)

تمهيد

مع أننا جميعا نعرف معنى الأسر بالممارسة حيث يعيش كل منا في أسرة وتحيط به أسر أخرى فإننا قد لا نتفق على ما يعتبر أسرة، فإذا علمت أن « محمد » يعيش في أسرة تتكون من والده ووالدته وثلاثة من الأخوة وأختين، بينما عمه متزوج بزوجتين ولم ينجب من أي منهما، وخاله يعيش مع أولاده وبناته بعد أن ماتت زوجته، وجده لأمه يعيش مع خالته الأرملة وأولادها، وفي المنزل المجاور يعيش ولدان وثلاث بنات وحدهم بعد موت أبوهما، وزميلك « على » يعيش مع والدته وإخوته بينما أبوه مهاجر للعمل في الخارج، فأي تلك الكيانات يشكل أسرة بالمعنى الذي نقصده هنا؟ . الحقيقة أن كل من هذه الوحدات المعيشية المذكورة كأمثلة تربط بين أفرادها علاقات القرابة، ومن ثم فإنها أسر من الناحية الاجتماعية، ولكن كثير من الدارسين الاجتماعيين يميلون إلى القول بأن هناك مواضع اجتماعية أساسية ينبغي أن تجتمع حتى تكون هناك أسرة كاملة الأركان. وهذه المواضع هى الزوج، والزوجة والأبناء. فإذا وجدت مواضع أخرى مثل الجد، والحفيد، وزوجة الأخ فإنها تعتبر زيادة في البناء الاجتماعي للأسرة، وإذا فقد بعض المواضع الأساسية كالأبناء نتيجة لعقم الزوجين، أو الأب نتيجة للوفاة مثلا يصبح البناء الاجتماعي للأسرة ناقص التكوين. ومن هنا فإن تعريف الأسرة بتعداد المواضع الاجتماعية التي تتكون منها سوف لا يؤدي إلى الوصول إلى معنى دقيق وعام لمفهوم الأسرة.

تعريف الأسرة:ـ

الأسرة عبارة عن بنيان اجتماعي يقوم على علاقات القرابة (النسب والزواج). وتتمثل في مجموعة من العلاقات الاجتماعية التي تحددها الثقافة والتي توجد بين الأقارب الذين يعيشون سويا أو يتفاعلون بدرجة تسمح باعتبارهم وحدة واحدة. وتعتبر الأسرة أقدم النظم الاجتماعية التي عرفتها الحياة الاجتماعية. ونعنى بعلاقات النسب تلك العلاقات الاجتماعية التي يكون أساسها الانحدار من أصل واحد. ومن أمثلة ذلك علاقات الأخوة والعمومة وما إليها. أما علاقات الزواج فهي العلاقات الاجتماعية التي يكون أساسها توزيع ممارسة الجنس في إطار الثقافة السائدة. ومن أمثلتها علاقة البعولة والأصهار وما إليها.

وظائف الأسرة:

تتميز الأسرة بأنها تتكون من معاشرة الأفراد من الذكور والإناث. وعادة ما يكون ذلك مصحوبا بذرية ناتجة عن هذه المعاشرة. وعلى هذا فالحياة الأسرية تشمل كثيرا من الأنشطة التي تتمثل في العلاقة بين الرجال والنساء وهذه تسمى الأنشطة الجنسية. كما أنها تشمل مجموعة من الأنشطة التي تتمثل في علاقة الآباء بالأبناء، وهذه تسمى بالأنشطة الوالدية. وعلى ذلك يمكن تقسيم وظائف الأسرة حسب انتمائها إلى أحد هذين النوعين من الأنشطة.

أولا الوظائف الجنسية:

الجنس أحد الغرائز الأساسية في الإنسان والحيوان على السواء. إلا أن الغريزة الجنسية في الإنسان تعتبر أقوى تأثيرا منها في الحيوان على السواء. إلا أن الغريزة الجنسية في الإنسان تعتبر أقوى تأثيرا منها في الحيوان. فالدافع الجنسي لدى الإنسان يتميز بالاستمرار بعكس الحيوانات التي يعتبر الدافع الجنسي فيها موسميا، وقد أدى

ذلك بالمجتمع الإنساني إلى وضع أصول محددة وصارمة لممارسة الجنس في المجتمع حتى يقل النزاع الناشئ عنه. ويعتبر كثيرون هذا التنظيم أساسيا لصيانة المجتمع البشري. وتقوم الأسرة كمؤسسة اجتماعية بتهذيب الدافع الجنسي بوسيلتين هما الزواج والتحريم.

١ـ الزواج Marriage:

الزواج عبارة عن علاقة مشروعة بين الرجل والمرأة. ومعنى أن العلاقة مشروعة أنها تتم في حدود المعايير الثقافية السائدة في المجتمع وأن المجتمع يعترف بها ويباركها. والواقع أنه لا يوجد مجتمع بشري يغفل تحديد أصول الزواج فيه. فالزواج يحدد للمجتمع ولأفراده الطريق الذي ينبغي سلوكه لإشباع الدافع الجنسي. وتعتبر أي علاقة جنسية خارج الزواج عملا خارجا لا يرضى عنه المجتمع. ومع أن الزواج يعني وجود أزواج وزوجات فإنه لا يكفي كأساس لتحديد الوظيفة الجنسية للأسرة. فقد وجد كل مجتمع أن هناك أفراد معينين يجب عدم التعرض لهم جنسيا. ومن هنا نشأت فكرة المحرمات.

٢ـ المحرمات Incest taboo :

تحرم كثير من المجتمعات الزواج من الأفراد الذين يحتلون مواضع اجتماعية معينة في بنيان القرابة. فلا يوجد مجتمع يسمح بزواج الأشقاء أو بزواج الأبناء بالآباء. ويضيف كل مجتمع إلى ذلك تحريم مواضع أخرى فمثلا يحرم المجتمع الإسلامي إلى جانب زواج الوالدة والأخت والبنت زواج العمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت.

كما يحرم زواج الربائب والحموات والجمع بين الأختين وزوجة الأب وزوجة الابن والأقارب من الرضاع. وهناك مجتمعات تحرم زواج أبناء العمومة والخؤولة. وما ذلك إلا كمحاولة من المجتمع لحمل الأفراد على صيانة الأشخاص الذين يحتلون هذه المواضع الاجتماعية بطريقتين.

أولاهما:

منع الأفراد من التفكير في من يشغل هذه المواضع تفكيرا جنسيا على أي نحو. فليس هناك أمل في الارتباط بأي من هؤلاء الأفراد بعلاقة زواج، ومن ثم فليست هناك فائدة ترجى من التفكير فيهم على أساس جنسي.

وثانيتهما:

حمل الأفراد على حماية من يحتلون هذه المواضع الاجتماعية من السلوك الجنسي غير المشروع. أي أن الفرد لا يكتفي بالامتناع عن النظر إلى محارمه نظرة جنسية ولكنه يجعل نفسه حارسا عليهم حتى يضمن عدم اشتراكهم في علاقات جنسية خارج نطاق الزواج ويمنع تعرضهم للاعتداء من جانب الآخرين بأي صورة من الصور.

هذا ويؤدي وجود المحرمات إلى وضع خطوط فاصلة في الأسرة بين ما يليق وما لا يليق وبالتالي تكبح جماح الغريزة الجنسية من السير في طريق لا يرضاه المجتمع. ذلك أن عقيدة التحريم عادة ما تكون هى المانع الوحيد من الاختلاط الجنسي حيث لا توجد موانع زمنية أو مكانية أو غريزية. ومن هنا يمكن القول بأن النظام الأسري بما يتضمنه من محرمات يساعد إلى جانب الزواج في تشكيل ما ينبغي أن تكون عليه الممارسة الجنسية في المجتمع.

ثانيا الوظائف الوالدية:

تعمل الأسرة بالإضافة إلى تحديد العلاقات بين الذكور والإناث على تحديد العلاقة بين الوالد والولد. ونعني بالوالد الأصل الذي انحدر منه الفرد ذكرا كان أم أنثى. كما نعني بالولد الفرع الذي ينحدر من الأصل ابنا كان أو بنتا. ويكون تحديد هذه العلاقة بحيث تكون في صالح المجتمع ككل. وتنظم المؤسسة الأسرية العلاقة بين الوالد والولد بصورة تسهل تأدية الوظائف الآتية لمصلحة المجتمع ككل.

١ـ التناسل :

من الواضح أن أي مجتمع يستلزم أن يتناسل أفراده حتى يستمر. فالأفراد مهما بلغت فترة حياتهم إلى زوال. وإذا اعتمد المجتمع على عدد معين من الأفراد دون تناسل فإنه سوف ينتهي.

والمهم هنا هو أن كل مجتمع يتوقع أن يكون تجديده من خلال النسل الناتج في ظل أسر قائمة على الزواج المشروع. ومن هنا فإن كل مجتمع يعتمد على الأسرة في تجديد أفراده. وتعتبر الأسرة هى حلقة الوصل بين النسل الناتج والمجتمع الكبير. وقد بات واضحا أن المعيار الاجتماعي في كل المجتمعات هو الإنجاب في الأسرة، وأن الإنجاب خارجها غير مشروع. إلا أن الملاحظ أنه توجد بعض التجاوزات من جانب البعض في كثير من المجتمعات. حيث يحدث حمل وربما ولادة خارج نطاق الأسرة. وهذه التجاوزات يستنكرها كل مجتمع معروف. إلا أن ردود الفعل الواقعية حيالها تختلف باختلاف المجتمعات. حيث أننا نجد بعض المجتمعات أكثر تسامحا والبعض الآخر أكثر صرامة في مواجهة هذه التجاوزات. إلا أن التسامح مع بعض هذه التجاوزات لا يعني بأي حال إقرارها أو مباركتها من جانب النظام الأسري.

٢ـ رعاية الأطفال (الرعاية البيولوجية):

يحتاج الطفل البشري إلى رعاية بيولوجية وعاطفية لفترة طويلة نسبيا. ولا يستطيع الطفل البقاء إذا افتقد هذه الرعاية. وتوكل مهمة هذه الرعاية عادة إلى الأسرة التي تقوم الأم فيها بدور كبير في هذا الشأن. هذا وقد أدت التطورات الاجتماعية الحديثة إلى خروج المرأة إلى العمل وعجزها ـ كليا أو جزئيا ـ عن تأدية هذه الوظيفة على الوجه الأكمل. وقد أدى ذلك إلى بحث المجتمعات عن بديل وظيفي للأسرة يساعد في القيام بهذه المهمة. ومن هذه البدائل دور الحضانة المنتشرة في معظم دول العالم المعاصر.

وتشير الملاحظات والدراسات الاجتماعية إلى أن هذه البدائل تعجز عن القيام بما تقوم به الأسرة على نحو سليم. ومن هنا فإن كثير من المجتمعات تسمح بتفرغ المرأة العاملة لبعض الوقت لرعاية الأطفال.

٣ـ التنشئة الاجتماعية:

يتطلب كل مجتمع أن يتعلم أطفاله المعايير الثقافية الأساسية ويسلكون تبعا لها. وتعتبر الأسرة هي المؤسسة الوحيدة التي تستطيع أن تعلم أطفالها المعتقدات والقيم الأساسية في المجتمع. والأسرة وإن كانت أول مؤسسات التنشئة الاجتماعية إلا أنها لا تستطيع أن تضطلع بتنشئة الأفراد تنشئة متكاملة في العصر الحديث. ولهذا فإن جزءا كبيرا من هذه المهمة يوكل إلى المدارس والجامعات وغيرها. إلا أن المرحلة الأولى الأساسية في عملية التنشئة الاجتماعية تقع على كاهل المؤسسة الأسرية على أي حال. فعندما يخرج الطفل إلى المدرسة يكون قد تعلم الكثير من ثقافة المجتمع من الأسرة التي تنشأ بها.

٤ـ الضبط الاجتماعي:

تؤدي التنشئة الاجتماعية إلى ممارسة قوة ضبط اجتماعي على الأفراد. ذلك لأنها تجعلهم يسلكون طبقا للمعايير التي يتعلمونها. إلا أن التنشئة الاجتماعية عملية طويلة ومن هنا وجب وجود قوة أخرى تسيطر على سلوك الصغار لأن الأطفال إذا تركوا وشأنهم فإنهم يسلكون بعض السلوك المعيب وهم لا يعلمون. ومن هنا فإننا عادة ما نجد فرد كبير في صحبة الأطفال حتى يتأكد من أن سلوكهم مقبولا. وتعتبر الأسرة هي العامل الأساسي للضبط الاجتماعي في هذه المرحلة. ومهمة الأسرة في هذه المرحلة هي التأكد من أن سلوك الأطفال يسير تبعا للثقافة السائدة حتى بالنسبة للأمور التي لم يتعلموها بعد أو التي يصعب عليهم تعلمها مبكرا. ومن مظاهر ذلك أننا نجد الأسرة تعهد إلى أحد الكبار بمصاحبة الأطفال حتى يمنعهم عن السلوك الذي لا يقبله المجتمع.

٥ـ منح المكانة الاجتماعية:

ذكرنا في باب سابق أن كل فرد يحتل موضعا اجتماعيا معينا ويحظى بمكانة معينة في البنيان الاجتماعي للمجتمع. ولما كان الموضع الاجتماعي للأطفال صعب التحديد، فإنهم عادة ما يمنحون المكانة الاجتماعية لأسرهم. وأحيانا ما يكون هذا المنح أبديا. وأحيانا أخرى يكون مرحليا فقط. بمعنى أنه ينتهي باكتساب الفرد مكانة خاصة به تبعا لأدائه في المجتمع. إلا أنه يمكن القول بصفة عامة أن المكانة الاجتماعية للآباء تؤثر في المكانة الاجتماعية للأبناء.

٦ـ الوظيفة التعليمية:

قديما الأسرة وحدها كانت هي المؤسسة التي تشرف على تربية وتعليم أطفالها وفق ما تشاء وبدون تدخل من جانب أية سلطة من سلطات المجتمع.

وكانت تقوم بتعليم أفرادها الحرفة (الصنعة) الزراعة، و التربية البدنية، والشئون المنزلية.

ثم انتقلت الوظيفة التعليمية من المنزل إلى المدرسة، لتمارسها الدولة وجعلتها إجبارية للجميع. فتنشئ المباني المدرسية، وتعد المعلمين وتعينهم، وتقدم المنح والمكافآت الدراسية. وأصبح دور الأسرة الأشراف على متابعة أطفالها في الواجبات المنزلية.

إلا أنه بمرور الوقت تقلص دور المدرسة في العملية التعليمية نتيجة الزيادة السكانية الكبيرة، وقلة الإمكانيات المادية المتاحة مما أدى إلي تكدس الفصول، وتحمل الأسرة العبء الأكبر في العملية التعليمية.

٧ـ الوظيفة الاقتصادية:

قديما في الأزمنة السابقة كان رب الأسرة هو الكفيل الاقتصادي لجميع مطالب الأسرة. وكانت الأسرة سواء كانت بسيطة أو ممتدة هي المسئولة عن القيام بإعالة أطفالها، وكانت الأسرة مكتفية ذاتيا إلى حد كبير، فهي تنتج وتستهلك بقدر إنتاجها.

ولكن مع التغيرات المتلاحقة بالمجتمع، أصبحت الأسرة غير مكتفية ذاتيا، وأصبحت تعتمد على السوق الخارجي في توفير كثير من احتياجاتها، فالأسرة في المجتمع الحديث أصبحت جماعة مستهلكة للسلع والخدمات أكثر منها جماعة منتجة لها، ويسعى أفرادها للعمل خارج محيط الأسرة (سواء الرجل أو المرأة وأحيانا الأولاد) لتوفير المال اللازم لشراء متطلباتها من السلع المختلفة والخدمات وأصبح هناك تعاون وتقسيم للعمل بين أعضاء الأسرة الواحدة.

٨ـ الوظيفة العاطفية:

يقصد بها التفاعل العميق بين الزوجين وبين الآباء والأبناء في منزل مستقل مما يخلق وحدة أولية صغيرة تكون المصدر الرئيسي للإشباع العاطفي لجميع أعضاء الأسرة.

وتعد الوظيفة العاطفية هامة لحفظ الكيان النفسي للأسرة والعمل على زيادة التفاهم بين أفرادها، فمن حق كل فرد في الأسرة أن يشعر بالأمان وأنه شخص محبوب ومقبول من الآخرين، كما أنه في حاجة إلى الشعور بالانتماء إلى جماعة تمنحه الثقة. فالأسرة هي إحدى الدعائم الأساسية لبناء شخصية الفرد منذ بداية حياته.

البنيان الاجتماعي للأسرة:

يختلف البنيان الاجتماعي للأسرة باختلاف المجتمعات. وقد ميز علماء الاجتماع بعض الأبعاد التي تؤدي إلى هذه الاختلافات. وأهم هذه الأبعاد ما يلي:

أولا: اختلاف عدد الأزواج والزوجات

يحدد النظام الأسري في المجتمع عدد الأفراد الذين يمكن أن تجمعهم العلاقة الزوجية. و معنى ذلك أن المجتمع يحدد إذا ما كان ينبغي أن يكون هناك زوج واحد أو أكثر وزوجة واحدة أو أكثر. وبناء على ذلك نجد أن هناك أربعة نظم محددة وهى.

١ـ الزواج الواحدي Monogamy :

وهو عبارة عن زواج رجل واحد بامرأة واحدة. وهذا هو الزواج الأكثر شيوعا في العالم المعاصر. ويعتبر البعض أن الزواج الواحدي هو الزواج الأمثل لأنه لا يتيح للبعض حرمان البعض الآخر فرصة الزواج. لأن عدد الذكور والإناث في كل مجتمع عادة ما يكون متساويا. وإذا تزوج البعض بعدد من النساء فإن ذلك يؤدي

بالضرورة إلى عدم وجود عدد كاف من النساء لكل الرجال. وتعتبر بعض المجتمعات أن الزواج الواحدي هو الزواج الوحيد المسموح به في حين تعتبره مجتمعات أخرى الزواج المفضل مع السماح ببعض الأنواع الأخرى وإن كانت أقل تفضلا.

٢ـ تعدد الزوجات Polygyny:

وهو ارتباط الرجل بأكثر من زوجة. وهذا الزواج مسموح به في المجتمعات الإسلامية والمذهب المورموني Mormon في الولايات المتحدة. ويبدو أن تعدد الزوجات يسود في المجتمعات التي تتركز فيها السلطة والثروة في أيدي عدد قليل من الرجال مع فقر الغالبية. وهنا يصبح عدد الزوجات رمزا لمكانة الرجل الاجتماعية. إلا أن هذا عادة ما يكون على حساب الفقراء الذين لا يجدون زوجات. كما قد يكون انتشار هذا النوع من الزواج نتيجة لوجود أعداد كبيرة من الإناث مع ندرة في أعداد الرجال. ففي أعقاب الحروب الكبيرة التي تقضي على أعداد كبيرة من الرجال يحدث اختلال في نسبة الذكور إلى النساء في المجتمع. وهنا يرى المجتمع في تعدد الزوجات حلا لتلك المشكلة.

٣ـ تعدد الأزواج Polyandry:

وهو ارتباط المرأة بأكثر من زوج واحد. وهذا الزواج أصبح نادرا في المجتمعات المعاصرة. ويبدو أن شيوع تعدد الأزواج مرتبط بشيوع الفقر ووأد البنات. الأمر الذي ينتج عنه ندرة في الاناث مع وجود فائض من الرجال. وعليه فإن هذا النوع من الزواج في المجتمعات التي وجد فيها يكون لمواجهة ظروف غير طبيعية من حيث نسبة الذكور إلى الإناث في المجتمع.

٤ـ الزواج الجماعي Group marriage:

وفيه يرتبط أكثر من رجل بأكثر من امرأة بعلاقة زوجية. وهذا النوع نادر الوجود في المجتمعات الحديثة. إلا أن هناك بعض الأصوات في المجتمعات الغربية تنادي بهذا النوع من الزواج كوسيلة للتغلب على مشاكل الزواج الواحدي، لتفادي المشكلات التي تحدث نتيجة فقد أحد الأزواج أو الزوجات.

ثانيا: اختلاف الأهلية للزواج Eligibility for Marriage

يحدد كل مجتمع من خلال النظام الأسري الأشخاص الذين يعتبرون أهلا للزواج بأفراد معينين. وهناك نوعين من الأصول التي تحدد الأهلية للزواج هما الزواج الداخلي والزواج الخارجي.

١ـ قواعد الزواج الداخلي Endogamy :

وهى تتطلب من الفرد أن يتزوج من بين مجموعة من الأفراد الذين تتوفر فيهم الأهلية للزواج. ومن هذه القواعد ما يتطلب من الفرد أن يتزوج بشريك من نفس دينه أو جنسه أو طبقته الاجتماعية. وعادة ما يستنكر الزواج خارج هذه الحدود إلا أن رد الفعل يختلف باختلاف الظروف.

٢ـ قواعد الزواج الخارجي Exogamy :

وهى تتطلب من الفرد أن يتزوج من خارج مجال اجتماعي يعتبر أعضاؤه غير أهل للزواج. ومع أن قواعد الزواج الخارجي موجودة في كل مجتمع إلا أن تحديد الأفراد الممنوع الزواج بهم يختلف من مجتمع لآخر. وترتبط قواعد الزواج الخارجي لحد ما بالمحرمات.

وتؤدي قواعد الزواج الداخلي وقواعد الزواج الخارجي مجتمعة إلى تحديد المجال المرغوب اجتماعيا لاختيار الأزواج في المجتمع كما هو موضح بالشكل.

ثالثا: اختلاف تركيب الأسرة

يشيع في المجتمعات المعاصرة نوعين من الأسر يختلفان من حيث تركيبهما وهما :

١ـ الأسرة البسيطة أو النووية Nuclear family:

وهى التي تتكون من الأب والأم وأبنائهما . وعلى هذا فهي أسرة تتكون من جيلين فقط هما جيل الآباء وجيل الأبناء . وفي هذا النوع من الأسر فإن الزوج والزوجة هما لب البناء الأسري . وتعتبر العلاقات الزوجية هي العامل الأكثر أهمية فيها .

٢ـ الأسرة المركبة أو الممتدة Extended Family:

وهى الأسرة التي تتكون من ثلاثة أجيال أو أكثر وأبنائهما الغير متزوجين بالإضافة إلى الأبناء المتزوجين وزوجاتهم وأبنائهم . وعادة ما تعتبر علاقات النسب هي الأصل في الأسر المركبة بينما العلاقات الزواجية ذات أهمية فرعية . وعلى هذا فإنها تركز على علاقات الأخوة والأصول والفروع (الوالدـ الولد) . وقد كان هذا النوع من الأسر سائدا في كثير من المجتمعات العربية حتى عهد قريب خصوصا في المناطق الريفية . وتشهد المجتمعات العربية حاليا تناقصا في أعداد الأسر المركبة وتزايدا في انتشار الأسر البسيطة .

رابعا: اختلاف في مكان الإقامة

يتضمن الزواج أن هناك زوج وزوجة يقيمان سويا في حياة مشتركة . أما أين يقيم الزوجان حديثي الزواج فأمر يختلف باختلاف المجتمعات . ونجد أن كل مجتمع يحدد نمطا مفضلا لإقامة الأسر الجديدة . وهناك ثلاثة أنماط من إقامة الأسر الجديدة وهي :

١ـ الإقامة المستقلة Neolocal residence:

وفيه تقيم الأسرة حديثة التكوين في مسكن مستقل بعيدا عن كلا الأسرتين الأصليتين الذين نشأن فيهما الزوج والزوجة. وجدير بالذكر أن هذا النمط يرتبط بنظام الأسرة البسيطة السالف الذكر. ويسود هذا النمط معظم المجتمعات الحديثة وهو آخذ في الانتشار. وهناك اعتقاد بأن انتشاره راجع إلى انتشار الصناعة وقدرة كثير من الأسر الجديدة على الاستقلال ماديا. ويؤدي هذا النوع من الإقامة إلى حرمان كبار السن من العلاقات القوية بأبنائهم المتزوجين حيث يكون للأبناء حياتهم المستقلة. وعادة ما ينظر إلى كبار السن الذين يقيمون مع أحد أبنائهم المتزوجين على أنهم مصدر للمشاكل بالنسبة لزوج الابن أو البنت. كما أنهم يشكلون مصدرا لحفز جميع أفراد الأسرة على التكلف في معاملة بعضهم البعض.

٢ـ الإقامة الأبوية Patrilocal residence:

وفيه يقيم الزوجان حديثي الزواج مع الأسرة التي نشأ فيها الزوج. أي أن الزوجة تنتقل للإقامة مع أسرة الزوج. وهذا النمط موجود في مجتمعات كثيرة ولا زال موجودا في الريف العربي على نطاق واسع في الوقت الحالي، ولكنه آخذ في الانحسار مفسحا الطريق للإقامة المستقلة.

٣ـ الإقامة الأموية Matrilocal residence:

وفيه يقيم الزوجان حديثي الزواج مع الأسرة التي نشأت فيها الزوجة. أي أن الزوج ينتقل إلى الإقامة مع أسرة الزوجة. وهذا النمط موجود في المجتمعات التي تتركز فيها الثروة وحقوق الملكية في أيدي الإناث. وهو شائع بين كثير من قبائل وسط أفريقيا.

وجدير بالذكر أن كلا من الإقامة الأبوية والإقامة الأموية يرتبطان بوجود نظام الأسر الممتدة الذي يسود في المجتمعات الزراعية أو حيث تحتكر الأسرة حقوق الملكية لمدة طويلة مع تضييق نطاق الملكية الفردية. ويعتبر الزواج عملية مقايضة بين أسرتين حيث تحصل الأسرة التي تعطي أحد أبنائها أو إحدى بناتها على تعويض مادي من الأسرة الأخرى.

خامسا: اختلاف طريقة اختيار شريك الحياة

تختلف المجتمعات كثيرا في منح حق اختيار الأزواج والزوجات. فبعض المجتمعات تقصر هذا الحق على الأهل وبعضها يخص به الأفراد الراغبين في الزواج، وتوجد درجات وسطية كثيرة تتميز بمزيج من النوعين. وعموما يمكن القول أن هناك طريقتين للاختيار هما:

١ـ الاختيار العائلي (المرتب) Arrangad marriage :

وفيه يتم الاتفاق على الزواج بين أسرتي العريس والعروس. وعادة ما تنظر الأسرتان بعين الاعتبار إلى المكانة الاجتماعية والظروف المادية وغيرها من المؤهلات المطلوبة في شريك الحياة. وفي هذه الحالة لا يعطي كثيرا اهتمام للنواحي العاطفية لأن الحب لا يعتبر في نظرهم من متطلبات الزواج، ولكنه قد يتكون نتيجة للمعاشرة لفترات طويلة. وقد وجد أن هذا النوع من الاختيار يسود حيث تسود الإقامة الأبوية أو الأموية. ويتفرع من الاختيار العائلي الاختيار عن طريق الخاطبة والأقارب. ويبدو أن هناك معارضة كبيرة من جانب الشباب لأسلوب الاختيار العائلي في المجتمعات التي يوجد فيها.

٢ـ الاختيار الشخصي(الحر) Romantic marriage:

وفيه يختار الفتى والفتاة شريك حياته بحرية تامة كنتيجة لعلاقات الحب التي تجمعهما. ويبدو أن نظام الإقامة المستقلة يشجع على هذا النوع من الاختيار. وذلك أن الزوجين الذين يعيشان بمعزل عن الأقارب يحتاجان إلى علاقات شخصية قوية تضمن استمرار حياتهما الزوجية. فالإقامة مع الأهل تشكل ضابطا يمنع الزوجين من العبث بالحياة الزوجية. كما أن الأهل يتدخلون لفض الخلاف عند الضرورة. وهذه العوامل غير موجودة في نظام الإقامة المستقلة ولذا يستعاض عنها بضمان قيام الزواج على الحب والاقتناع.

وهناك حاليا في كثير من المجتمعات هجوم على الاختيار الشخصي بحجة أنه ضار باستقرار الحياة الزوجية. ويقول المهاجمون إن الحب يعوق اتخاذ قرار سليم. ولذا فإن كثيرا من الزيجات تكون متسرعة وتنتهي بالطلاق. ويدللون على ذلك بارتفاع معدلات الطلاق في المجتمعات التي يسود فيها هذا النوع من الزواج.

وقد أدى ضيق الشباب بالزواج المرتب بالإضافة إلى خوفهم من اتخاذ قرار شخصي نتيجة للقيود التي تمنع التفاعل بين الشباب من الجنسين إلى البحث عن حل وسط يجمع بين مزايا النظامين. ويقوم هذا الحل الوسط على اشتراك كل من الأسرة والشخص في القرار بدرجات مختلفة يحددها الموقف، من ذلك اشتراط موافقة الأسر على الاختيار الحر، وهنا يكون لأطراف الزواج الدور الرئيسي ويكون دور الأسرة مساندا، وأحيانا يكون الاختيار للأسرة ولكن يعطي الأطراف (الفتى والفتاة) حق الموافقة على مشروع قرار الأسرة أو رفضه.

سادسا: اختلاف أساس النسب

يكتسب الطفل في أي مجتمع حقوقا معينة بمجرد ميلاده. وتحدد المؤسسة الأسرية نوعية ومصدر هذه الحقوق. وأهم هذه الحقوق حق الانتماء (أو النسب) وما يتبع ذلك من مكانة اجتماعية، وحق الإرث أو انتقال الثروة من جيل لآخر. ويطلق على هذه الحقوق النسب وهناك ثلاثة أنماط من إضفاء حقوق النسب هى:

١ـ النسب الأبوي Patrilineal :

وفيه ينتسب الطفل إلى أسرة والده حيث يسمى باسمها. وتسود تسمية الأبناء بأسماء عائلة أبائهم في معظم المجتمعات المعاصرة. كما أن حقوق الميراث تنحصر في انتقال الثروة من الأب إلى الابن الذكر وهكذا. وهذا النمط سائدا في المجتمع العربي قبل الإسلام كما أنه موجود في كثير من المجتمعات الغربية.

٢ـ النسب الأموي Matrilineal :

وفيه ينتسب الطفل إلى أسرة والدته حيث يسمى باسمها. وتنتقل الثروة من الأم إلى بناتها. ولا يكون للرجال حق الإرث في ظل هذا النظام. هذا وقد كان النسب الأموي موجودا عند العرب قبل الإسلام حيث كان ابن الأمة ينسب إلى أمه ويصير عبدا. وكلنا يعلم كم جاهد عنترة حتى يحصل على اعتراف بنسبه إلى أبيه شداد.

٣ـ النسب المشترك Bilateral:

وفيه ينتمي الطفل جزئيا إلى كل من أسرة الأب والأم. كما أنه يستحق أن يرث من أقاربه من كلا الاتجاهين. وهذا النمط هو السائد في المجتمعات العربية. حيث يعترف المجتمع بعلاقات القرابة وحق الإرث في اتجاهين. وذلك باستثناء

الانتساب بالتسمية الذي يتبع طرفا واحدا محددا . وهذا الطرف عادة ما يكون أسرة الأب .

سابعا: اختلاف توزيع السلطة

تتطلب الحياة الأسرية اتخاذ وتنفيذ العديد من القرارات . وتختلف المجتمعات في تحديد الفرد (أو الأفراد) الذي يعطي سلطة اتخاذ القرارات . وهناك ثلاثة أنماط لتوزيع السلطة في الأسرة هى :

١ـ السلطة الأبوية Patriarchal :

وفيها يضطلع الأب أو أكبر رجل في الأسرة بمهمة اتخاذ القرارات وتعتبر قراراته ملزمة لباقي أفراد الأسرة . وهذا النمط كان سائدا في معظم المجتمعات . ومنها المجتمع العربي حتى عهد قريب . إلا أنه أخذ في الانحسار لتحل محله السلطة المشتركة أو الديمقراطية .

٢ـ السلطة الأمومية Matriarchal :

وفيه تضطلع الأم أو أكبر أنثى باتخاذ القرارات الأسرية . وهذا النمط نادر الوجود في العصر الحديث . وينحصر وجوده في المجتمعات التي يوجد فيها النسب الأموي أو التي يعمل فيها الرجال في أنشطة اقتصادية متنقلة تحول بينهم وبين تسيير حياة الأسرة .

٣ـ السلطة الديمقراطية (المشتركة):

وفيه تتخذ القرارات باتفاق جميع أفراد الأسرة القادرين على الإسهام فيها . وهذا النمط حديث العهد نسبيا في المجتمعات البشرية إلا أنه آخذ في الانتشار نتيجة لتغير وضع المرأة وحصولها على حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية كحق العمل وحق الانتخاب . . . الخ . وقد انعكس ذلك في صورة ازدياد تأثير النساء في

القرارات الأسرية . هذا وتتحقق السلطة الديمقراطية عن طريق الاشتراك في كل قرار، وقد تتحقق عن طريق اقتسام القرارات، بحيث يضطلع الرجل بقرارات معينة وتضطلع المرأة بقرارات أخرى .

ثامنا: اختلاف الاهتمام بعلاقات القرابة

تتضمن الحياة الأسرية ثلاثة أنواع من علاقات القرابة هي علاقة الأصول أي علاقة الفرد بوالديه، والعلاقة الزوجية وهي علاقة الفرد بزوجه، وعلاقة الفروع وهي علاقة الفرد بأبنائه . وعادة ما تسود إحدى هذه العلاقات الثلاثة الحياة الأسرية وتكون لها الأولوية على غيرها . وعلى ذلك يمكن تمييز ثلاثة أنماط للاهتمام بعلاقات القرابة هى :

١ـ الاهتمام بعلاقة الأصول:

وهنا تأخذ علاقة الفرد بآبائه دورا بارزا، وفي هذه الحالة نجد النظام الأسري يسوده احترام كبار السن . ويحس الأفراد بأن عليهم التزاما أساسيا تجاه والديهم . ويسود هذا النمط في بعض المجتمعات ومنها المجتمع الصيني القديم والمجتمع العربي إلى عهد غير بعيد . وفي هذا النظام تسخر العلاقات الأسرية الأخرى لخدمة علاقة الأصول .

٢ـ الاهتمام بالعلاقات الزوجية:

وهنا يتركز الاهتمام على علاقة الزوج بالزوجة وسعادتهما المشتركة على حساب علاقات القرابة الأخرى . وفي هذا النظام يمكن التضحية بعلاقات الأصول إذا تعارضت مع العلاقة الزوجية . كما يمكن الاستغناء عن الأولاد إذا لم ير الزوجان أنهم سيسهمون في سعادتهما .

٣ـ الاهتمام بعلاقات الفروع:

وهنا يتركز الاهتمام حول الأبناء. ويسود الاهتمام بالأطفال على الاهتمام بالآباء أو الأزواج. وعادة ما ينتشر هذا النوع في الأوساط التي تضعف فيها العلاقات الزوجية. وهنا يجد أحد الزوجين أو كليهما عوضا في الأطفال ويسخر كل طاقته الطبيعية والعاطفية نحوهم. ويعبر المثل الشعبي عن الاهتمام بعلاقات الفروع بقوله «قلبي على ولدي انفطر وقلب ولدي عليا حجر». وهذا المثل يعبر عن شكوى الآباء من زيادة الاهتمام بعلاقات الفروع على حساب علاقات الأصول.

وبعد فإن هذه الأبعاد الثمانية تستخدم لوصف أي مؤسسة أسرية. ذلك أن علماء الاجتماع عادة ما يكتفون في وصف أي نظام أسري بذكر موقعه على هذه الأبعاد فقد يقال مثلا أن الأسرة في مجتمع ما تتصف بالزواج الواحدي والسلطة الأبوية والإقامة الأبوية والزواج العائلي والأسرة الممتدة والاهتمام بعلاقات الأصول (كيف تصف الأسرة التي تنتمي إليها؟).

* * *

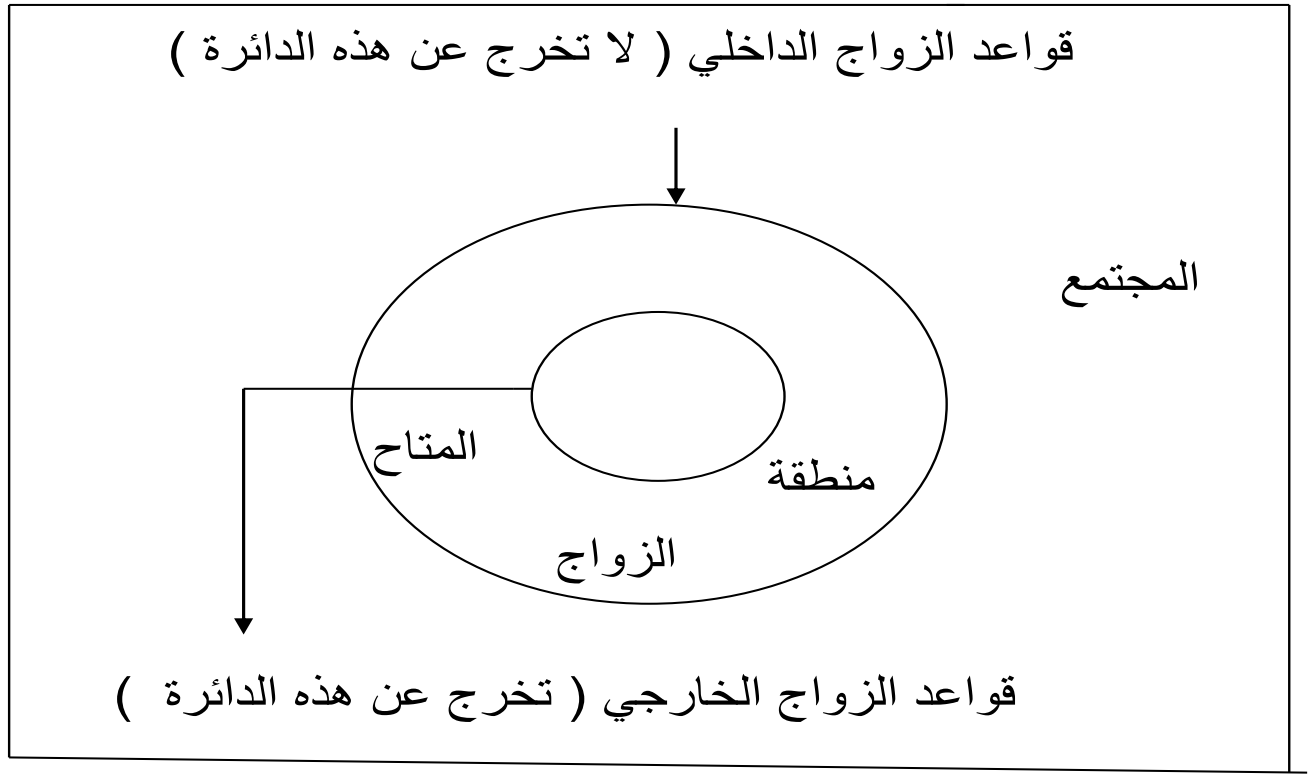

الأهلية للزواج

أسئلة على الباب العاشر

١ـ استعرض بإيجاز وظائف الأسرة ثم بين :

(أ) أي تلك الوظائف يمكن الاستغناء عنها؟

(ب) أي تلك الوظائف تحتاج فيها الأسرة على مساعدة من وحدات أخرى .

(جـ) أي تلك الوظائف تعتقد أنه سيظل مرتبطا بالأسرة في المستقبل؟ ولماذا؟

٢ـ أيهما تفضل؟ ولماذا :

(أ) الزواج المرتب أم الزواج الحر .

(ب) السلطة الأبوية أم السلطة الديمقراطية في الأسرة .

(جـ) الزواج من عائلتك أم من خارج العائلة .

٣ـ كيف تصنف النظام الأسري في المجتمعات العربية باستعمال الأبعاد المختلفة للبنيان الاجتماعي للأسرة؟

٤ـ ما رأيك في كل من الحالات الآتية :

(أ) فتاة تخطت الثلاثين ولازالت ترفض كل من يتقدم لخطبتها .

(ب) شاب محدود الإمكانيات يتزوج ويقيم مع أسرة زوجته .

(جـ) رجل يفضل زوجته على أمه .

(د) رجل يقدم قضاء مصلحة أبيه على قضاء مصلحة أولاده .

(هـ) زميل لك يلجأ إلى الخاطبة لتبحث له عن عروس .

(و) رجل طلق زوجته إرضاء لخاطر أبيه .

(ز) جار لك متزوج من ثلاث نساء يقمن معه في نفس المسكن .

الباب الحادي عشر
السكان

يعتبر عدد الأفراد الآدميين ومواصفاتهم في منطقة معينة (دولة أو مدينة مثلا) من العوامل الأساسية التي تؤثر في طبيعة العلاقات الاجتماعية. ولهذا يهتم علماء الاجتماع بدراسة أعداد وصفات البشر في المجتمعات. ويستخدم مفهوم السكان Population ليشير إلى مجموع البشر الذين يقطنون منطقة معينة. كما يستخدم مفهوم الدراسات السكانية Demography ليشير إلى الدراسة العلمية للسكان.

وتهتم الدراسة السكانية بالبحث في أعداد السكان ومواصفاتهم وتغير هذه الأعداد وتلك الصفات من وقت لآخر. ويستعمل العلماء في هذه الدراسة عدة مفاهيم أهمها:

١ـ الزيادة الطبيعية Natural increase

وتشير إلى التغير في عدد السكان نتيجة للفروق بين عدد المواليد وعدد الوفيات. وقد يكون هذا الفرق موجبا. ويؤدي إلى تزايد السكان. وقد يكون الفرق سالبا ويؤدي إلى نقص عددهم. وتحسب الزيادة الطبيعية على صورة معدل يمثل عدد الأفراد الذين يزيدون لكل ألف من السكان سنويا. ويقتضي حساب الزيادة الطبيعية حساب معدلين آخرين هما معدل المواليد ومعدل الوفيات.

(أ) معدل المواليد:

ويشير إلى عدد المواليد الأحياء لكل ألف من السكان في العام ويحسب طبقا للمعادلة الآتية :

$$\text{معدل المواليد} = \frac{\text{عدد المواليد الأحياء في العام}}{\text{عدد السكان في منتصف العام}} \times ١٠٠٠$$

(ب) معدل الوفيات:

ويشير إلى عدد الوفيات لكل ألف من السكان في العام ويحسب طبقا للمعادلة التالية :

$$\text{معدل الوفيات} = \frac{\text{عدد الوفيات في العام}}{\text{عدد السكان في منتصف العام}} \times ١٠٠٠$$

وهكذا فإن معدل الزيادة الطبيعية = معدل المواليد – معدل الوفيات

ويعطي معدل الزيادة الطبيعية ومعدل المواليد ومعدل الوفيات فكرة سريعة عن التغير في حجم السكان. وجدير بالذكر أن معدل الزيادة الطبيعية هو الفرق بين معدل المواليد ومعدل الوفيات. ولهذا فإنه يمكن تفسيره على أنه عدد الأفراد الذين يزيدون خلال العام لكل ألف من السكان.

٢ـ حاصل الهجرة:

ويشير إلى الفرق بين عدد الأفراد الذين هاجروا إلى منطقة معينة وعدد الأفراد الذين هاجروا منها. ويحسب حاصل الهجرة في صورة معدل الهجرة السنوي كالآتي:

$$\text{معدل الهجرة} = \frac{\text{عدد المهاجرين القادمين} - \text{عدد المهاجرين النازحين}}{\text{عدد السكان في منتصف العام}} \times ١٠٠٠$$

وجدير بالذكر أن أي تغير في عدد السكان يعتبر محصلة التغير الناتج عن الزيادة الطبيعية وحاصل الهجرة.

التغير في السكان= الزيادة الطبيعية + حاصل الهجرة

وقد ظهرت عدة نظريات لتفسير التغير في السكان باعتباره المبحث الأول في الدراسات السكانية، وأهم تلك النظريات ما يلي:

أ ـ النظريات السكانية:

تهتم النظريات السكانية أساسا بتفسير ظاهرتين أساسيتين هما الهجرة والزيادة الطبيعية. وفيما يلي أهم هذه النظريات:

١ـ نظرية الهجرة

تتعدد نظريات تفسير الهجرة إلا أن أبسطها وأيسرها فهما هي نظرية الطرد والجذب التي ترى إنه يمكن تفسير هجرة السكان على أساس أن هناك عوامل وظروف في موطنهم الأصلي تنفرهم منه أو تدفعهم إلى الخروج منه. وهذه العوامل مثل الاضطهاد السياسي، وعدم وجود وسيلة مناسبة لكسب العيش، وزيادة المواليد

بدرجة لا يمكن للمنطقة استيعابها. ولكن الأفراد الذين يتعرضون لعوامل الطرد ويقررون الهجرة لا يذهبون إلى أي مكان ولكنهم ينجذبون إلى المناطق التي يرون أنها تتحلى بالصفات التي افتقدوها في موطنهم الأصلي. ولكن هذه الجاذبية ليست العامل الوحيد الذي يحدد الهجرة. فقد وجد أن المسافة بين الموطن الأصلي والهجرة تلعب دورا هاما حيث تزداد فرصة الهجرة كلما صغرت المسافة.

هذا وجدير بالذكر أن العلماء يميزون أنواعا مختلفة من الهجرة. فهناك الهجرة الدائمة التي تتم بقصد الإقامة المستديمة في المنطقة الجديدة. وهناك الهجرة المؤقتة التي تتم بقصد الإقامة في المنطقة الجديدة لفترة محددة ثم العودة إلى الموطن الأصلي.

كما تصنف الهجرة حسب العلاقة بين الموطن والمكان الجديدة. فإذا كانا في نفس الدولة تسمى هجرة داخلية، وإذا كانا في دولتين مختلفتين تسمى هجرة خارجية.

٢ـ نظريات الزيادة الطبيعية:

يشيع في الدراسات السكانية تفسيران متعارضان للزيادة الطبيعية هما نظرية مالتس ونظرية الانتقال السكاني:

(أ) نظرية مالتس:

لاحظ مالتس أن السكان يتزايدون بنسبة متوالية هندسية، بمعنى أن العلاقة بين عدد السكان في سنة معينة وعدد السكان في سنة لاحقة تكون نتيجة الضرب في رقم معين، وهذا يؤدي إلى مضاعفة عدد سكان كل جيل. ويعزى مالتس هذه الزيادة إلى الدافع الجنسي لدى البشر الذي يجعل المواليد دائما أكثر مما هو مطلوب لتجديد السكان. إلا أن هذه الزيادة لا يمكن أن تستمر بلا ضابط لأنها مرتبطة بالتوسع في الموارد الغذائية التي تسد الحاجات الأساسية للسكان، والتي لا يمكن أن

تجاري الزيادة السكانية لأن الموارد الغذائية لا تزيد إلا بنسبة متوالية عددية . بمعنى أن كمية الموارد الغذائية في سنة معينة وكميتها في سنة لاحقة تكون بجمع مقدار معين، وعلى هذا فإن الزيادة السكانية تسبق الزيادة الغذائية . وهنا يحتاج المجتمع إلى وسيلة لإعادة التوازن المفتقد بين السكان والموارد .

ويرى مالتس إن ارتفاع معدل الوفيات هو الضمان الوحيد لحفظ التوازن، وهناك عدد من الضوابط الإيجابية التي تعمل على رفع معدلات الوفيات عند الضرورة مثل المجاعات والأوبئة والحروب . وهذه الضوابط هي الطريقة التلقائية للتخلص من الزيادة السكانية التي لا يمكن إطعامها . ولما كان المجتمع لا يرتاح إلى الضوابط الإيجابية فإنه يطبق مجموعة أخرى من الضوابط الوقائية التي تمنع عدد السكان من الوصول إلى الحد الذي يستلزم عمل الضوابط الإيجابية . وبالتالي فإن الضوابط الوقائية تعمل على خفض معدلات المواليد أصلا مثل تأخير سن الزواج والزهد في الجنس . أما وسائل منع الحمل فقد رفضها مالتس واعتبرها وسائل غير أخلاقية تساعد على نشر الانحلال الأخلاقي .

تضمنت نظرية مالتس عدة آراء صائبة تحققت بالفعل في كثير من المجتمعات منها :

١ـ هناك ميل لزيادة السكان بنسبة أكبر من زيادة المنتجات الغذائية في كثير من الدول مثل الهندـ مصر .

٢ـ من الناحية الفسيولوجية يمكن أن يتضاعف عدد السكان كل ٢٥ سنة .

٣ـ الإنتاج الزراعي يخضع لقانون تناقص الغلة .

كما تضمنت عدة آراء غير صائبة :ـ

١ـ تشاؤم مالتس . ففي بعض الدول لم يتزايد السكان في صورة متوالية هندسية .

٢ـ عدم كفاية المواد الغذائية ليس شائعا في كل المجتمعات .

٣ـ هناك مساحات شاسعة من الأراضي لم تستغل بعد لنقص الأيدي العاملة

٤ـ الثروة الحيوانية لا تخضع لقانون الغلة المتناقصة ـ بل تزداد بنسبة أكبر من نسبة تكاثر السكان .

٥ـ ارتفاع مستوى المعيشة والتطور الاجتماعي ، والمستوى التعليمي للمرأة ، وارتفاع تكاليف تربية الأولاد . . . . . إلخ سيؤدي حتما إلى انخفاض معدل المواليد والتوازن بين أعداد السكان والموارد الغذائية .

(ب) نظرية الانتقال السكاني:

الفكرة الأساسية لهذه النظرية تكمن في أن الزيادة الطبيعية تختلف من مجتمع لآخر ومن وقت لآخر . وترى هذه النظرية أن أي تجمع سكاني لابد وأن يمر بثلاث مراحل أساسية . ومن المجتمعات المعاصرة ما أكمل هذه المراحل ومنها ما يقف في مكان ما على الطريق . وهذه المراحل هى :

١ـ المرحلة البدائية:

وفيها يكون معدل المواليد مرتفعا إلا أن معدل الوفيات أيضا مرتفع . ونتيجة لذلك فإن الزيادة الطبيعية تكون ضئيلة أو معدومة . وتتمثل هذه المرحلة في المجتمعات البدائية .

٢ـ المرحلة الانتقالية:

وتبدأ هذه المرحلة حينما يبدأ التصنيع والتحضر في المجتمع . وتكون أولى نتائج التقدم انخفاض معدل الوفيات نتيجة لتزايد إنتاج الغذاء وتزايد الرعاية الصحية . إلا أن معدلات المواليد تظل كما كانت في المرحلة السابقة . وتكون النتيجة

ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية دون زيادة في معدل المواليد. ويرى أصحاب هذه النظرية أن معظم الدول النامية توجد في هذه المرحلة. وعلى هذا فالانفجار السكاني في الدول النامية ليس نتيجة لزيادة معدلات المواليد ولكنه نتيجة لانخفاض معدلات الوفيات.

٣ـ مرحلة الاستقرار:

وفيها تنخفض معدلات المواليد نتيجة للامتناع الاختياري عن إنجاب الأطفال. وتكون المحصلة أن تنخفض معدلات الزيادة الطبيعية حتى تكاد تكون معدومة. وعلى ذلك فالانفجار السكاني ليس إلا ظاهرة مؤقتة لابد وأن تنتهي بدخول المجتمع في المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل الانتقال السكاني.

ويرى أنصار هذه النظرية أن الفترة التي تستغرقها المرحلة الانتقالية تختلف من مجتمع لآخر.

بـ النظريات الاجتماعية

تفسر هذه النظريات النمو السكاني وترجعه إلى عوامل اجتماعية وليس عوامل بيولوجية. ومنها :ـ

١ـ النظرية الاجتماعية الرأسمالية (ديمون)

تقوم على أساس الاعتقاد بأن الإنسان يميل إلى رسم خطط معينة للوصول إلى مستويات أعلى في البيئة الاجتماعية. وفي صعوده هذا يتناقص معدل توالده باستمرار كلما ارتفع إلى أعلى. ويقل الاهتمام بالأسرة ويهتم بالصعود لأعلى لمصلحته الشخصية.

ويعتقد أن المجتمعات التي يسهل بها الحراك الاجتماعي الصاعد نوعا ما يكون معدل المواليد بها في هبوط مستمر.

ففي فرنسا حركة السكان سريعة ويتناقص معدل المواليد بينما مجتمعات أخرى كالهند فيتزايد بها عدد السكان لأنهم أقل طموحا .

٢ـ كارل ماركس

يرى أن فقر الإنسان ناجم عن رغبته في زيادة أعداده بعيدا عن التفكير في النظام الاقتصادي . وأن النظام الشيوعي يعالج الفقر المتسبب عن زيادة السكان . والرأسمالية هي أساس الفقر لأن هذا النظام لا يوزع الفائض الاقتصادي بشكل عادل فيزداد عامة الناس فقرا وبؤسا . فنمو السكان لن يصبح مشكلة اقتصادية في دولة شيوعية حيث يوزع الفائض الاقتصادي بالتساوي بين جميع أفراد المجتمع .

وصف السكان:

عادة ما يوصف السكان عن طريق تحديد توزيعهم حسب السن أو النوع أو كليهما . ويطلق على وصف السكان حسب السن التوزيع العمري للسكان، ويطلق على توزيعهم حسب النوع (الجنس) التوزيع النوعي للسكان، ويطلق على توزيع السكان تبعا للعمر والجنس في نفس الوقت اسم الهرم السكاني، وفيما يلي عرض موجز لكل من تلك الأمور الثلاثة .

١ـ التوزيع العمري للسكان Age composition

يعتبر توزيع السكان على فئات العمر المختلفة ذو تأثير عظيم على كثير من الظواهر الاجتماعية . فإذا وجد مجتمع يتميز بمعدل مواليد مرتفع وبالتالي نسبة كبيرة من الأطفال فيجب عليه أن يستغل جزءا من ثروته في بناء وتشغيل المدارس وإنتاج ملابس الأطفال واللعب والكتب وكذلك تدريب أطباء الأطفال .

بينما لو وجد مجتمع يحتوي على نسبة كبيرة من المسنين فيجب عليه أن ينفق بغزارة على المعاشات وبيوت كبار السن والمستشفيات والكراسي ذات العجل وما شابه ذلك .

ولذلك فانه من المهم بالنسبة للهيئات الحكومية مثل الشئون الاجتماعية والهيئات العلمية أن تعرف الاتجاه في التصنيف العمري للسكان حتى نستطيع أن تخطط لمقابلة احتياجات الفئات المختلفة . كما أن السكان الذين توجد بينهم نسبة كبيرة من المسنين من المحتمل أن يكونوا أكثر تحفظا بدرجة أكبر من صغار السن . كما أننا نلاحظ في المجتمعات الريفية ان التحكم في الملكية يحتفظ به عادة كبار السن لفترة أطول عنه في المناطق الحضرية . وهذا يعطي كبار السن صوتا أكبر في التحكم في شئون المجتمعات المحلية الريفية . في مثل تلك المجتمعات سوف يكون هناك ندره من الشباب ليأخذ القيادة في شئون المجتمع المحلي .

كما أن الاختلاف بين المجتمعات في متوسط العمر بين الأفراد قد يكون سببا في اختلاف معدل الوفيات أو معدل المواليد . فمثلا المجتمع الذي تكون فيه نسبة صغار السن كبيرة يكون فيه معدل المواليد مرتفع وترتفع فيه نسبة الزواج ونسبة الأفراد العاملين .

وتتميز الدول النامية عموما ومنها الدول العربية بارتفاع نسبة من هم في فئات السن التي أقل من ١٢ سنة وانخفاض نسبة المسنين عن الدول المتقدمة . فكانت نسبة الأطفال أقل من ١٥ سنة ١٩٪ بالدول المتقدمة مقابل ٣٤٪ بالدول النامية عام ٢٠٠٠م . بينما كانت نسبة المسنين (أكبر من ٦٥ سنة) ١٤٪ في الدول المتقدمة مقابل ٥٪ بالدول النامية عام ٢٠٠٠ .

وبالنسبة للمجتمع المصري فقد وجد أن نسبة الأطفال أصغر من١٥ سنة بلغت ٣٢,٢٪ حسب تقديرات عام ٢٠٠٧ وارتفعت ٣٢,٧٪ حسب تقديرات عام ٢٠١١ . ونسبة الشيوخ ٦٥ سنة فأكثر بلغت ٦, ٤٪ حسب تقديرات عام ٢٠٠٧ وانخفضت إلى ٤,٥٪ حسب تقديرات عام ٢٠١١ . وعلى هذا بلغت نسبة السكان في سن الإنتاج من(١٥ـ ٦٤)٦٣,٢٪ حسب تقديرات ٢٠٠٧ . وانخفضت إلى ٦٢,٨٪ حسب تقديرات عام ٢٠١١ .

وهذا يدل على أن المجتمع المصري ما زال مجتمعا شابا فتيا حيث ترتفع نسبة صغار السن وتنخفض نسبة الشيوخ . في حين نجد أن الدول المتقدمة مازال بها انخفاض في نسبة الأطفال حيث تبلغ ١٩٪ وارتفاع في نسبة الشيوخ حيث تبلغ١٤٪ من مجموع سكانها بالتالي تنخفض معدلات الزيادة الطبيعية فيها نتيجة لانخفاض معدلات المواليد، وتعرف هذه المجتمعات في الدول المتقدمة بالمسِّنة أو الهرمة .

التوزيع النوعي للسكان :

ويشير إلى توزيع السكان بين ذكور وإناث، ويوصف رقميا في صورة ما يسمى بالمعدل النوعي . وهو عدد الذكور لكل ١٠٠ من الإناث كالآتي :

$$\text{المعدل النوعي} = \frac{\text{عدد الذكور}}{\text{عدد الإناث}} \times ١٠٠$$

ويرجع اختلاف هذا المعدل بين الدول لعدة أسباب منها الهجرة أو الحروب التي تنتقي الذكور دون الإناث في الغالب .

والتصنيف النوعي للسكان له تطبيقات في مختلف مظاهر العلاقات الاجتماعية والديموجرافية مثل فرص الزواج . فإذا كانت نسبة الذكور أكبر من نسبة الإناث وخاصة بين فئات السكان الممكن الزواج منها- فستقل نسبة المتزوجين من الذكور .

بينما زيادة الإناث عن الذكور بدرجة كبيرة في المجتمع قد تؤدي إلى ارتفاع معدلات الطلاق وانخفاض مكانة المرأة بالنسبة للرجل كما تؤدي إلى ارتفاع معدلات المواليد وخاصة إذا كان هذا المجتمع يبيح تعدد الزوجات، وقد تؤدي إلى أنماط جديدة من الحياة الأسرية .

وقد بلغ المعدل النوعي ١٠٣ حسب تقديرات عام ٢٠١١ في حين أنه كان ١٠٢ في إحصائية عام ١٩٩٧ . وهذا يدل على انه ما زالت نسبة الذكور أعلى من الإناث نتيجة ارتفاع في نسبة مواليد الذكور والانخفاض في نسبة الوفيات بينهم .

الهرم السكاني :

هو أفضل وسيلة لإبراز تركيب السكان من حيث سنهم ونوعهم . وفيه يمثل التوزيع السكاني للمجتمع بالنوع والعمر برسم بياني على هيئة أعمدة .

ويتم عمل الهرم السكاني كما يلي :

١- يرسم إحداثي أفقي وتؤخذ عليه نقطة في منتصفه .

٢- يقام على الإحداثي الأفقي عمود من نقطة المنتصف يكون هو الإحداثي الرأسي .

٣- يقسم الإحداثي الأفقي على يمين المحور الرأسي إلى درجات مئوية (تمثل كل وحدة ١٪ من عدد السكان) وبحيث يستوعب أكبر نسبة مئوية في توزيع السكان وبحيث يبدأ التدريج بالصفر عند نقطة تلاقي الإحداثي الأفقي بالإحداثي الرأسي .

٤ـ يقسم الإحداثي الأفقي على يسار المحور الرأسي بنفس الطريقة المتبعة في الخطوة السابقة .

٥ـ يقسم المحور الرأسي إلى فئات عمرية تبدأ من الصفر عند نقطة تلاقي الإحداثيين وتنتهي بأكبر فئة عمرية في توزيع السكان . ويفضل ما أمكن أن يقسم المحور الرأسي إلى وحدات متساوية (تمثل كل منها خمس سنوات مثلا) . أما إذا تعذر ذلك بسبب البيانات المتاحة فيتم تصميم التدريج وفقا للطريقة التي عليها البيانات .

٦ـ توقع الفئات العمرية للإناث على يمين الرسم في صورة أعمدة بيانية أفقية تكون قاعدة كل عمود على المنطقة على المحور الرأسي التي تمثل الفئة العمرية . وقمة العمود عند النقطة التي تمثل النسبة المئوية لأفراد الفئة على المحور الأفقي .

٧ـ توقع الفئات العمرية للذكور على يسار الرسم بنفس الطريقة المتبعة في الخطوة السابقة .

٨ـ عند انتهاء الرسم يكون لدينا شكل هرمي يمثل توزيع السكان بحيث أن كل عمود أفقي يمثل فئة عمرية وكل نصف من أنصاف الهرم يمثل نوعا معينا . وعلاوة على ذلك فإن كل عمود يمثل فئة عمرية مقسم إلى قسمين أحدهما للذكور والآخر للإناث .

أهم التطبيقات للهرم السكاني:ـ

بالنظر إلى الهرم السكاني يمكن للدارس استنتاج عدد من الحقائق لعل أبرزها :

أولاً معدلات الخصوبة:

بالتركيز على العمود السفلي للهرم السكاني الذي يمثل الأطفال الصغار تبين ما إذا كانت الخصوبة مرتفعة أو منخفضة، فكلما زاد طول العمود السفلي كلما دل على ارتفاع الخصوبة، وكلما قل طوله كلما كانت الخصوبة منخفضة .

ثانياً: متوسط العمر المتوقع للفرد:

بالنظر إلى قمة الهرم السكاني يمكن للباحث معرفة ما إذا كان أفراد المجتمع أعمارهم طويلة أم قصيرة . وبافتراض استمرار نفس الظروف فان الصغار يمكن أن يعيش كل منهم نفس متوسط العمر تقريبا .

ثالثاً المعدل النوعي:

بمقارنة نصفي الهرم الأيمن والأيسر يمكن للباحث معرفة نسبة الذكور إلى الإناث أو ما يطلق عليه المعدل النوعي .

رابعاً:

بمقارنة أطوال الأعمدة المختلفة يمكن للباحث تبين ما إذا كان المجتمع تنتشر به أمراض وبائية من عدمه . فتلك الأمراض الوبائية تظهر في صورة انخفاض حاد في أطوال الأعمدة في بعض الفئات العمرية .

خامساً: الأنشطة الاجتماعية المختلفة:

فالباحث المهتم بالنشاط الاقتصادي يستطيع معرفة حجم القوى العاملة المتاحة في المجتمع، والباحث المهتم بالأمور العسكرية يستطيع معرفة أعداد الأفراد الممكن تجنيدهم . والباحث

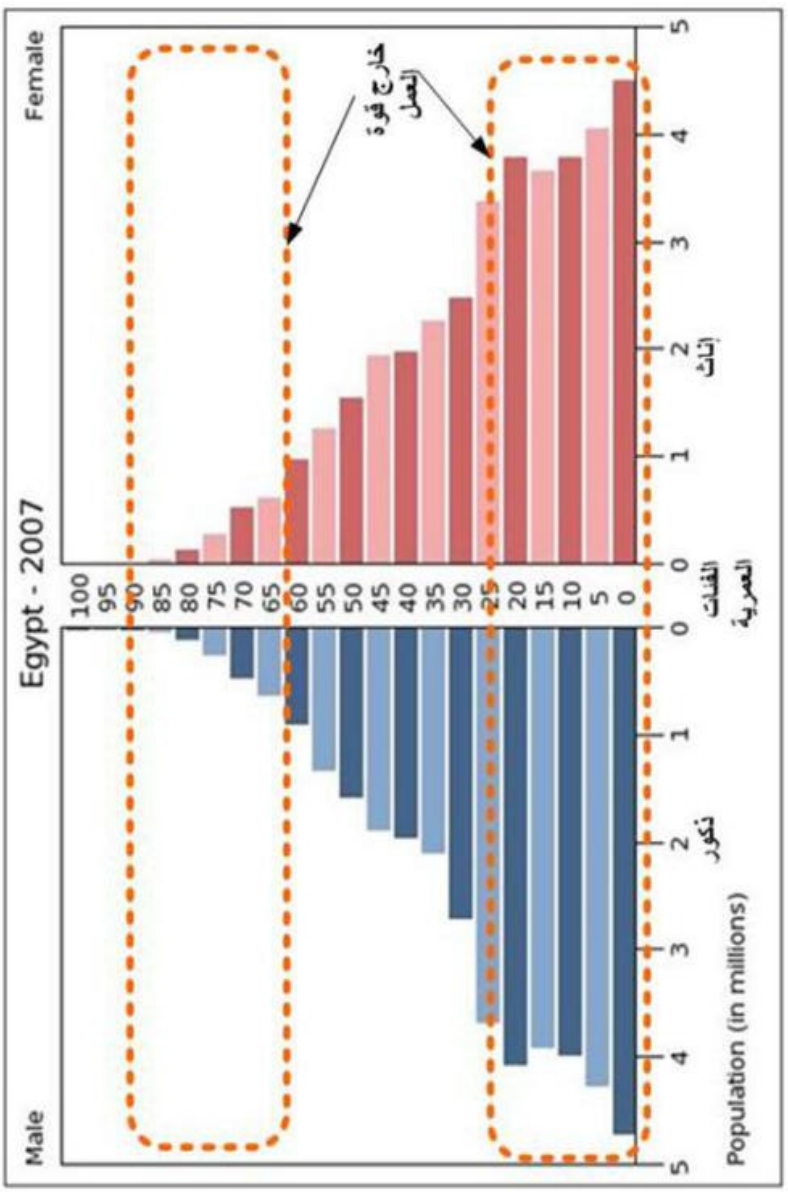
Egypt - 2007
Male
Female
Population (in millions)
ذكور
إناث
الفئات العمرية
خارج قوة العمل

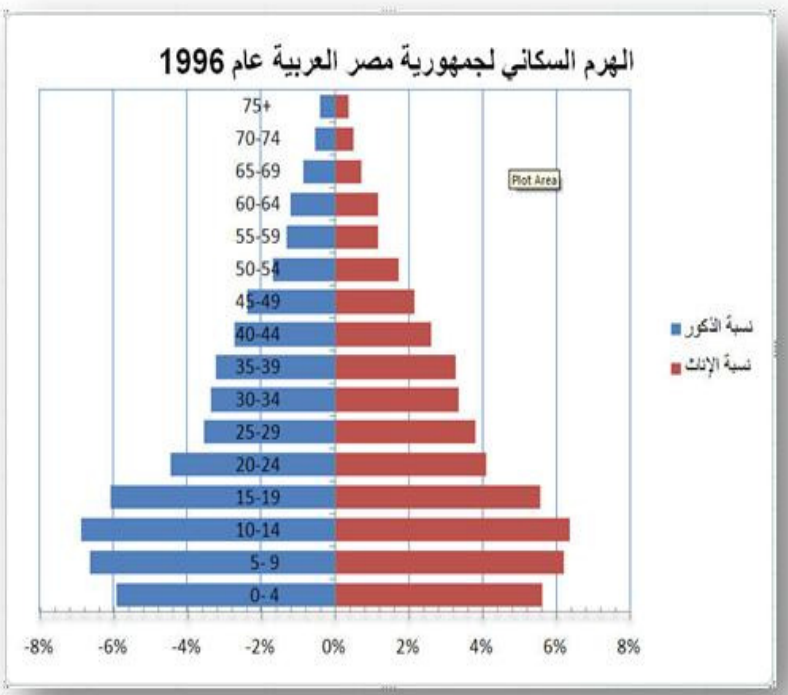

النسبة المئوية للإناث **النسبة المئوية للذكور**

شكل توضيحي لكيفية عمل الهرم السكاني

المهتم بالأمور السياسية والحملات الانتخابية يستطيع استنتاج أعداد الناخبين وتوزيعهم وربما احتياجاتهم التي تمكنه من التأثير عليهم، والباحث الذي يهتم بالتعليم يستطيع معرفة أعداد التلاميذ حاليا وفي المستقبل القريب. . . . وهكذا.

أنواع الهرم السكاني:-

ويمكن تمييز ثلاثة أنواع من الهرم السكاني وهى في الحقيقة ثلاث أنماط من التفاعل بين البنيان السكاني والخصوبة والوفيات وهذه الثلاثة أنواع هي (أنظر الشكل التالي)

(أ) **تمددي** Expansive :

بقاعدة عريضة للهرم تدل على نسبة كبيرة من الأطفال ومعدل للنمو السكاني .

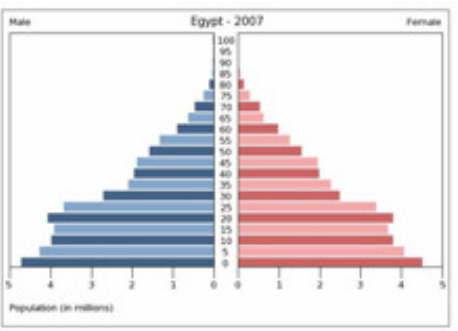

هرم سكاني تمددي

(ب) **ثابت** Stationary:

بقاعدة ضيقة للهرم السكاني تدل على نسبة معتدلة من الأطفال ومعدل بطئ أو ما يقارب من الصفر للنمو السكاني .

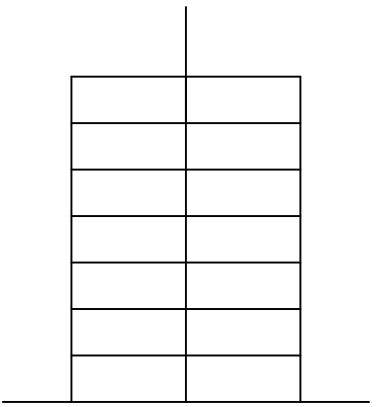

هرم سكاني ثابت

(جـ) مقبوض أو متخصر Constrictive:

بقاعدة أضيق من وسط الهرم تدل على نسبة من الأطفال غير كافية للمحافظة على السكان .

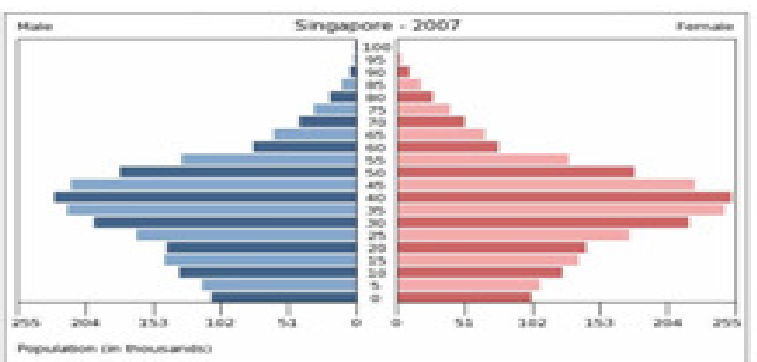

هرم سكاني مقبوض أو متخصر

التغير السكاني والبنيان الاجتماعي:

لا يعتبر التغير في عدد السكان أو توزيعهم حسب العمر والنوع تغييرا في البنيان الاجتماعي. ذلك أن السكان وفئاتهم العمرية والنوعية ما هي إلا فئات اجتماعية لا تمثل بنيان اجتماعي. وبالرغم من ذلك فان دراسة هذه التغيرات له أهمية بالنسبة للبنيان الاجتماعي لأنها تؤثر على العلاقات الاجتماعية. ومن أمثلة ذلك أننا نجد حاليا اتجاها عاما في كل المجتمعات نحو هجرة السكان من الريف إلى الحضر. وهذه الهجرة تؤثر كثيرا على طبيعة العلاقات الاجتماعية في المجتمع. فالمهاجر ينتقل من علاقات اجتماعية أولية في قريته إلى علاقات ثانوية في المدينة. بالإضافة إلى ذلك فان العلاقات بين الأقارب تتأثر حيث يقل مقدار التفاعل بينهم نتيجة لهجرتهم إلى أماكن مختلفة.

ومن الأمثلة كذلك انخفاض حجم الأسرة عن طريق إنجاب عدد أقل من الأطفال والذي يمثل تغيرا حديثا يزداد انتشارا في كثير من المجتمعات. هذا التغير يؤدي إلى تفرغ المرأة وقدرتها على الخروج للعمل خارج المنزل. وهذا يؤدي إلى خلق علاقات اجتماعية جديدة بينها وبين زملائها في العمل. كما أن طبيعة علاقة المرأة بزوجها وتقسيم العمل في المنزل يتأثر نتيجة لذلك. علاوة على ذلك فان علاقة الآباء بالأبناء داخل الأسرة تتغير لتساير حقيقة خروج المرأة للعمل.

* * *

أسئلة على الباب الحادي عشر

١ـ عرف كلا مما يأتي :ـ

(أ) معدل المواليد (ب) معدل الوفيات

(جـ)المعدل النوعي (د) حاصل الهجرة

(هـ) معدل الزيادة الطبيعية

٢ـ كيف تفسر هجرة الريفيين إلى الحضر

٣ـ اشرح نظرية الانتقال السكاني

٤ـ الجدول التالي يوضح توزيع سكان إحدى القرى تبعا للسن والنوع، ارسم هرما سكانيا لها؟

الفئة العمرية	ذكور	إناث	المجموع
أقل من ٥ سنوات	١٠٠٠	١٠٠٠	٢٠٠٠
٥ـ أقل من ١٠ سنوات	٨٥٠	٨٥٠	١٧٠٠
١٠ـ أقل من ١٥ سنة	٧٥٠	٧٥٠	١٥٠٠
١٥ـ أقل من ٢٠ سنة	٧٠٠	٨٠٠	١٥٠٠
٢٠ـ أقل من ٢٥ سنة	٦٥٠	٧٥٠	١٤٠٠
٢٥ـ أقل من ٣٠ سنة	٥٥٠	٥٥٠	١١٠٠
٣٠ـ أقل من ٣٥ سنة	٥٠٠	٥٥٠	١٠٥٠
٣٥ـ أقل من ٤٠ سنة	٥٠٠	٥٠٠	١٠٠٠
٤٠ـ أقل من ٤٥ سنة	٤٠٠	٥٠٠	٩٠٠
٤٥ـ أقل من ٥٠ سنة	٣٠٠	٤٠٠	٧٠٠

٥٠ـ أقل من ٥٥ سنة	٢٠٠	٣٠٠	٥٠٠
٥٥ـ أقل من ٦٠ سنة	١٧٠	٢٨٠	٤٥٠
٦٠ـ أقل من ٦٥ سنة	١٥٠	٢٥٠	٤٠٠

* * *

الباب الثاني عشر
التغير الاجتماعي

بات متفقا بين علماء الاجتماع على أن المجتمعات البشرية في تغير مستمر، ولـذا وجب الاهتمام بدراسة هذا التغير، وتعددت النظريات المفـسرة للـتغير الاجتمـاعي والمفاهيم المستخدمة لوصفه باختلاف ميول الدارسين وعقائدهم الأيديولوجية.

ويستخدم علماء الاجتماع مصطلحات مثل التقدم الاجتماعي والتطور والتنميـة الاجتماعية لوصف ما يطرأ علـى المجتمعـات مـن تغـير. والواضـح أن كـل تلـك المصطلحات توحي بأن المجتمعات تتغير دائما نحو الأفضل أو أن التغير يسير دائما في اتجاه مرغوب. ويبدو أن استعمال مثـل هـذه المـصطلحات يرجـع إلى كـون معظـم نظريات التغير الاجتماعي قد تمت صياغتها في دول تسمى نفـسها متقدمـة اقتـصاديا واجتماعيا. وقد دأب الدارسون من هذه الدول على اعتبار المجتمعات التي ينتمـون إليها تمثل قمة للتطور الاجتماعي، وأن التغير المرغوب في المجتمعـات الأقـل تقـدما هو أن تسير في نفس المسار الذي سارت فيه الدول المتقدمة.

وعلى ذلك فجميع هذه المصطلحات توحي بأن التغير الاجتمـاعي أمـر مرغـوب وأن اتجاهه محدد بمسار معين. وللتخلص من الشحنة العاطفية التي يتضمنها استعمال مثل هذه المصطلحات برز اصطلاح التغير الاجتماعي ليشير إلى التغير الذي يحدث في المجتمع دون الحكم على التغير من حيث كونه إلى الأحسن أو إلى الأسوأ، ومن هنـا كان تفضيلنا لاستخدام مفهوم التغير الاجتمـاعي. إلا أن الـتغير الاجتمـاعي عـادة

يختلط في الأذهان بمفهوم آخر هو التغيير الاجتماعي ولذا سوف نميز التغير الاجتماعي عن التغيير الاجتماعي .

التغير الاجتماعي والتغيير الاجتماعي:

غالبا ما يستخدم اصطلاح التغير الاجتماعي للإشارة إلى ذلك النوع من التغيرات التي تحدث في المجتمعات على مر الزمن ونتيجة لاختلاف الظروف . وعادة ما يكون هذا التغير نتيجة لتراكم عوامل عديدة كما أنه يحدث دون قصد أعضاء المجتمع .

أما التغيير الاجتماعي فإنه اصطلاح يشير إلى ذلك النوع من التغيرات التي تحدث في المجتمع عن قصد من بعض أعضائه بغية الوصول إلى نتائج معينة . فالتغير الاجتماعي إذن عملية عفوية تحدث في المجتمع أما التغيير الاجتماعي فهو عملية مقصودة تضم برامج معينة لإحداث تغيرات بعينها .

وعلى ذلك فإننا عندما نتحدث عن التغير الاجتماعي في هذا الباب فإنما نعني ذلك التغير اللا مقصود في نمط العلاقات الاجتماعية في المجتمع .

ويكاد يتفق علماء الاجتماع على أن أي بنيان اجتماعي يتصف دائما بنوع من الاتزان بين أجزائه بدرجة تتيح له العمل ككل متكامل . ويقول البعض بأن التغير الاجتماعي يحدث نتيجة لتأثير قوى معينة على البنيان الاجتماعي وأن البنيان الاجتماعي يعود سيرته الأولى بمجرد زوال القوى المؤثرة . إلا أنه يلاحظ أن عودة البنيان الاجتماعي سيرته الأولى ضرب من الخيال وأن كثيرا من التغيرات التي تحدث تستديم حتى بعد زوال المؤثر .

ولهذا يقول البعض أن الاتزان الذي يتصف به البنيان الاجتماعي هو اتزان مرن بمعنى أن وجود قوى مؤثرة يؤدي إلى حدوث تغيرات في بعض أجزاء البنيان

الاجتماعي وأن ذلك يخل بالتوازن بدرجة تجعل البنيان الاجتماعي يعدل من نفسه ليصل إلى توازن جديد وهكذا تتكرر العملية . بحيث إن التوازن المتحصل عليه بعد زوال القوة المؤثرة يخالف التوازن السابق لحدوثها .

نظريات التغير الاجتماعي:

هناك ثلاثة اتجاهات نظرية في تفسير التغير الاجتماعي يمكن وصفها بإيجاز فيما يلي :

١ـ نظرية التطور:

تكمن الفكرة الأساسية في نظريات التطور في تقسيم الحياة الاجتماعية إلى حياة بدائية وأخرى متطورة أو حديثة . وإدعاء أن هناك ميلا عاما إلى أن تتحرك الحياة البدائية في اتجاه التطور . وتنتشر هذه الفكرة في كتابات الرواد الأوائل لعلم الاجتماع مثل أوجست كونت وسبنسر وغيرهم .

ويعتقد كثيرون في العصر الحديث ان التطور إذا نظرنا اليه على أنه المرور في خطوات محدده وبانتظام ثابت ليس فكرة مقبولة . أما إذا نظرنا إلى التطور على أنه تحرك مجتمع معين طبقا لظروفه الخاصة وتغيره من حالة إلى حالة فإن هذا يعد أمرا مقبولا علميا . وعلى أي حال فإن التحرك في اتجاه واحد هو العمود الفقري لنظريات التطور .

٢ـ النظريات الدورية:

وترى أن المجتمعات البشرية تمر بمراحل معينة في صورة دورية بحيث يبدو المجتمع . إذا نظرنا إليه خلال فترة تاريخية طويلة جدا أنه يسير في حلقة مفرغة . وترى أن الحياة الاجتماعية تسير في حركة منتظمة مثل نظرية ابن خلدون الذي يرى

أن المجتمع يمر بخمس مراحل البداوة- الملك- الترف والنعيم- الضعف والاستكانة- الفناء.

٣- النظريات العاملية:

وترى أن المجتمع يتغير أو لا يتغير حسب وجود أو غيبة عوامل معينة تسبب التغير. وعلى ذلك فإن هذه النظريات تركز على اكتشاف العوامل التي تؤثر في المجتمع وتدفعه نحو التغيير. وهناك العديد من النظريات التي تركز كل منها على عامل واحد وترى أنه يحدد التغير الاجتماعي. ومثال ذلك ما يقال إن العوامل الاقتصادية هي عماد التغير أو العامل التكنولوجي أو الديموجرافي. ولكن هناك إجماع على أن التغير لا يعتمد على عامل واحد دائما بل على عديد من العوامل في وقت واحد.

عوامل التغير الاجتماعي

هناك عدة عوامل تسهم في إحداث التغير الاجتماعي في المجتمعات أهمها:

١- العامل الديموجرافي:

تعد القوى البشرية عنصر أساسي وفعال وراء كل تغير، ويتعلق ذلك بتوزيع السكان ومعدلات الزيادة، والمواليد، والوفيات، والهجرة، . . . . الخ

فعدد الأفراد الذين يتألف منهم المجتمع إذا زاد أو نقص نتيجة لزيادة عدد المواليد أو نقصهم أو نتيجة للهجرات الداخلية أو الخارجية، فانه يتوقع أن يتغير تبعا لذلك نسب الأطفال والشباب والشيوخ، ونسب الذكور والإناث، ودرجة الكثافة السكانية، وهذا من شأنه أن يغير حالة المجتمع المادية والفكرية والاجتماعية.

٢ـ العامل البيئي:

من المعلوم أن الإنسان لا يعيش في فراغ ولكنه يعيش في بيئة طبيعية تحيط به من أرض وأنهار وما إلى ذلك . وتشكل البيئة الطبيعية بما فيها من موارد نشاط الإنسان إلى حد كبير . فمثلا يتحدد نوع المحاصيل التي يزرعها القرويون على نوع التربة وطبيعة الجو وتوفر الماء وغيرها . وأي تغير يحدث في البيئة الطبيعية من اكتشاف موارد جديدة أو استنفاذ موارد قديمة يؤدي بالضرورة إلى تغير في نمط وأسلوب حياة البشر في الجماعة . (انظر مثلا ما حدث نتيجة اكتشاف البترول في المنطقة العربية وما حدث نتيجة انخفاض منسوب بعض الأنهار خلال بعض السنوات)

٣ـ العامل الثقافي:

سبق أن ذكرنا أن الثقافة تعمل على تشكيل البنيان الاجتماعي وأن الثقافات تختلف باختلاف المجتمعات . إلا أنه من الملاحظ أن الثقافة نفسها عرضة للتغير . فعندما يحدث اتصال بين ثقافتين تنتقل بعض عناصر ثقافية من أحدهما إلى الآخر . وهذه العناصر الثقافية الدخيلة تؤثر على البنيان الاجتماعي وتستدعي إحداث تغيرات في المجتمع . كما أن المجتمعات التقليدية قد تتبنى أساليب الثقافة الحديثة وتسمى هذه العملية (التحديث) . ويترتب على ذلك تغير اجتماعي بالمجتمع .

٤ـ العامل الأيديولوجي :

تمثل الأيديولوجية مجموعة المعتقدات الأساسية التي تصف الوضع الأمثل الذي ينبغي أن تكون فيه جماعة معينة أو مجتمع معين . وعادة ما يأخذ أفراد المجتمع المعتقدات الأيديولوجية كمسلمات تسمو فوق النقد ، تجعل معتنقها واقفا معها بغض النظر عن مشروعيتها أو صحتها ، كما أنها تساعد في إيجاد التبريرات الفلسفية

والاجتماعية لأوضاع اجتماعية معينة. ومن أمثلة الأيديولوجيات العولمة، والديمقراطية، والمبادئ الأساسية للأحزاب السياسية المختلفة.

٥ـ العامل التكنولوجي:

تمثل التكنولوجيا الوسائل التي يبتكرها الإنسان ويستعملها لإشباع حاجاته. وتختلف هذه الوسائل من مجتمع إلى آخر ومن عصر لآخر. وغالبا ما يؤدي ابتكار أو استمرار عنصر تكنولوجي معين إلى إحداث تغيرات اجتماعية معينة.

فقد أدي إدخال الماكينات الزراعية مثل ماكينات الري و الدراس والجرارات إلى تغيرات في طريقة الحياة الريفية. كما أن إدخال التيار الكهربائي في الفري يتبعه تغيرات في نمط العلاقات الاجتماعية في مجتمع القرية. (اسأل أبناء الجيل الأكبر منك سنا عن شكل التفاعل والعلاقات الاجتماعية بين الناس قبل دخول كلا من التليفزيون والانترنت).

٦ـ الثورات:

الثورة هى تغير جذري ومفاجئ في المجتمع. وتقوم الثورات عادة بقصد إحداث هذه التغيرات في البنيان الاجتماعي. ويختلف عمق وشمول هذه التغيرات حسب الفجوة الموجودة بين البنيان الاجتماعي الموجود والبنيان الاجتماعي المستهدف. فقد سعت كل من الثورة الفرنسية والثورة الروسية والثورة المصرية والثورة الإيرانية إلى إحداث تغير كامل وشامل في نظام الحكم والبناء الطبقي في المجتمع. ومن الثورات ما يأخذ أشكال أخرى مثل ثورة الاتصالات وثورة المعلومات ولكل منها أيضا أثر كبير في الحياة الاجتماعية.

٧ـ الحروب:

الحرب هي صدام مسلح بين دولتين أو شعبين أو أكثر . وعادة ما تنتهي الحرب بانتصار أحد الأطراف وانهزام الطرف الآخر . وعادة ما يحاول الطرف المنتصر فرض ثقافته على الطرف المنهزم وعندما يأخذ المجتمع بهذه الثقافات المفروضة عليه فإنه يمر بتغييرات كثيرة في جميع نواحي الحياة في المجتمع . ولا زال العالم يذكر آثار الاستعمار على البلدان النامية حديثة الاستقلال ومن أوضح الأمثلة على ذلك تحول بعض الدول من لغتها الأصلية إلى لغة الدولة المستعمرة كما هو الحال في كثير من الدول الأفريقية .

٨ـ العامل الاقتصادي:

إن نمط الاقتصاد السائد في أي مجتمع يشكل العلاقات الاجتماعية، وحدود العلاقات الشخصية والسلوك الفردي والجماعي . وأن كل تغير اقتصادي يترتب عليه بالضرورة تغير اجتماعي أو بمعنى أصح سلسلة من التغيرات الاجتماعية المتوافقة .

فزيادة دخل الأسرة أو توفير العمل لأفرادها يؤثر على مدى اعتمادهم على بعضهم وعلاقاتهم الاجتماعية .

وتحول الدولة من النظام الإقطاعي أو الاشتراكي إلى النظام الرأسمالي يستلزم حدوث تغيرات في المؤسسات والمنظمات الاجتماعية وعلاقات العاملين بأصحاب العمل، . . . . . الخ .

عوائق التغير الاجتماعي:

لا يعني قولنا أن التغير الاجتماعي ظاهرة عامة وتأكيدنا على وجود العديد من القوى الدافعة للتغير الاجتماعي أن التغير يحدث بسهولة. فالواقع أن هناك الكثير من العوامل التي تعمل على إعاقة التغير الاجتماعي.

وأهم هذه العوامل ما يلي:

١ـ انعزال المجتمع:

قد يعيش المجتمع منعزلا عن المجتمعات الأخرى نتيجة لظروفه الجغرافية كوجود موانع طبيعية كالجبال والبحار. كما أن المجتمع قد يعمل عمدا على فرض عزلة على نفسه عن المجتمعات الأخرى. وهذه العزلة أيا كان سببها تساعد على أن يسير المجتمع في حالة من الثبات نتيجة لانعدام الاختلاط بمجتمعات أخرى وانعدام الرغبة في التغير.

٢ـ التمسك بالقديم:

عادة ما يحس الناس بنوع من الألفة والثقة في الأساليب الاجتماعية الشائعة بينهم. كما يحسون بنوع من الخوف من الأساليب الجديدة التي يحدثها التغير بدرجة تجعلهم يخشون حدوث التغير إيثار للسلامة.

٣ـ الميل للمحافظة على الامتيازات:

تظهر المقاومة للتغير الاجتماعي من قبل الأفراد الذين يخشون من زوال مصالحهم (امتيازات اجتماعية ـ اقتصادية) ولهذا يعارضون أي تغير يمس هذه الامتيازات (النظام الإقطاعي في مصر، الخصخصة، . . . . الخ)

٤ـ ركود حركة الاختراعات والاكتشافات العلمية:

سبق التنويه بأن ابتكار أساليب تكنولوجية جديدة يساعد على إحداث تغير اجتماعي. إلا أنه عادة ما يحدث أن ينأى المجتمع عن الابتكار لأسباب مختلفة منها عدم التشجيع، وانخفاض المستوى العلمي والاجتماعي بدرجة تنخفض معها الرغبة في الاختراع.

٥ـ السياسة الامبريالية:

إن الامبريالية تفرض هيمنتها على المستعمرات وتحارب كل تغير ايجابي قد يحدث في البلدان المستعمرة فهي تفرض السياسة التي تتلاءم مع وجودها وهى سياسة مناقضة لمصالح الشعوب المقهورة. كما أنها تفرض ثقافتها وحضارتها على هذه الشعوب مما يؤدي إلى إعاقة عملية التغير.

* * *

أسئلة على الباب الثاني عشر

١ـ أي أسباب التغير الاجتماعي التي درستها ترى أنها أكبر تأثيرا في إحداث التغير الاجتماعي حاليا؟

٢ـ أشرح نظريات التغير الاجتماعي ثم بين أيها أصدق في تفسير التغير الاجتماعي في المجتمع العربي في السنوات العشر الأخيره؟

٣ـ اشرح معوقات التغير الاجتماعي الاجتماعي؟

٤ـ أذكر عشرة من مظاهر التغير الاجتماعي التي حدثت في مجتمعك في السنوات الأخيرة؟

* * *

المراجـــع

١- الجوهري، محمد محمود (١٩٨٤): المدخل إلى علم الاجتماع. القاهرة. دار الثقافة للنشر والتوزيع.

٢- الدقس، محمد (١٩٩٦): التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق. الطبعة الثانية. عمان (الأردن). دار مجدلاوي.

٣- الغزوي، فهمي سليم؛ وعبد العزيز علي خزاعلة؛ ومعن خليـــل عمـــر؛ ونايف عودة البنوي؛ وجنان كامل الطـــاهر(١٩٩٧): المـــدخل إلـــى علـــم الاجتماع. عمان (الأردن). دار الشروق.

٤- حسن، عبد الباسط محمد (١٩٨٢): علم الاجتماع. القاهرة. دار غريب.

٥- سيد أحمد، غريب محمد(١٩٨٣): المـــدخل فـــي دراســـة الجماعـــات الاجتماعية. الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية.

٦- عبد اللا، مختار محمد؛ وفاطمة عبد السلام شربي (١٩٩٩): مدخل إلى علم الاجتماع. القاهرة . دار غريب.

٧- لطفي ، عبد الحميد (١٩٨٢): علم الاجتماع. القاهرة. دار المعارف.

٨- http://www.elearning.jo